النعمة والحق

Nov
Dec
11-12
2010

إفتتاحية العدد

كيف يصبح عملنا صالحاً؟

«فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا، فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ.« (١كو١٠: ٣١)

أحد الأخوة ممن نزوره كثيراً نجد أن زوجته علقت في المطبخ لوحة مكتوب عليها:

هناك حياة واحدة وستمضي سريعاً

أما ما نفعله لأجل الرب فسيبقى

لقد وضعتها في مكان مناسب تخدم الرب فيه حيث تُعد الطعام لأسرتها وتغسل الأطباق بعد ذلك وتعمل كل ما تحتاجه الأسرة وإذ تفعل كل ذلك فإن تلك الكلمات تملأ ذهنها إن أعمالها اليومية البسيطة تعطيها انطباعاً مميزاً حينما تعملها لأجل الرب. والآية التي في صدر المقال تعلمنا بأننا يجب أن نعمل كل ذلك قلبياً وباستمرار لمجد الرب وليس لحسابنا.

هناك أطروحات كثيرة تتناول أهمية خاصة؛ أن نعمل ما هو جدير وهام في حياتنا. إنني أعمل ضمن فريق مُكرس لخدمة الرب في طباعة النبذ وإعدادها في شكل طرود لشحنها للعالم الثالث وحينما يراهم الزائر ويلحظ ذلك العمل المتكرر يلحظ كم ينون من المشقة إنهم يعيدون إلى ذاكرتي كلمات أختنا الفاضلة في مطبخها فإن أي عمل سواء إعداد الطعام أو طباعة طعام روحي للنفوس الجائعة حول العالم، أو عمل طبيب أو مُدرس أو فلاح أو أي عمل آخر يثمر أهمية خاصة إذا تم لأجل الرب وإلا فسيكون مجرد «خشب أو قش» (١كو٣: ١٢).

والرسول بولس يخبرنا كيف تسمو الأعمال البسيطة في حياتنا اليومية سواء كنا سادة أو عبيداً في المنزل أو خارجه حينما قال «وَكُلُّ مَا فَعَلْتُمْ، فَاعْمَلُوا مِنَ الْقَلْبِ، كَمَا لِلرَّبِّ لَيْسَ لِلنَّاسِ، عَالِمِينَ أَنَّكُمْ مِنَ الرَّبِّ سَتَأْخُذُونَ جَزَاءَ الْمِيرَاثِ، لأَنَّكُمْ تَخْدِمُونَ الرَّبَّ الْمَسِيحَ.» (كو٣: ٢٣، ٢٤) تمم هذا وستنال بركة حالياً وفي الأبدية.

موضوع العدد(1) بقلم: ديفيد. و. ريد

الإيمان الذي يعمل

إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس (رو٣: ٢٨)

وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً (رو٤: ٥)

فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ (رو٥: ١)

هكذا الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته (يع٢: ١٧)

مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ، هَلْ يَقْدِرُ الإِيمَانُ(هذا الإيمان)أَنْ يُخَلِّصَهُ؟ (يع٢: ١٤)

أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ بِدُونَ رُوحٍ مَيِّتٌ، هكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَال مَيِّتٌ.(يع٢: ٢٦)

ليس في كل الكتاب المقدس – تقريباً – إلا كاتبين يبدوان – لغير دارسي الكتاب وفاهمه – أنهما يتعارضان أكثر من يعقوب وبولس. وفيما يتعلق بالحق الحاسم للخلاص فأحدهما يبدو بأنه يعلن بأنه ليس بمقدور أحد أن يعمل لينال الخلاص والآخر يبدو أنه يقول بأن الأعمال الصالحة تلعب دوراً في الخلاص.

ويا له من اختلافاً جوهرياً. وفي الحقيقة فإن بولس يسجل أن التبرير هو بالإيمان فقط بدون أعمال ويعقوب يقول بأن التبرير هو بالإيمان مع الأعمال ويبدو أن الخلاف قائم. وهذا التعارض الظاهر كان جوهرياً في قلب مارتن لوثر فيما يتعلق برسالة يعقوب فقد وضعها في مرتبة أدنى فيما يحويه فحوى الوحي. بعض الدارسين يعتقدون أن رأي وموقف لوثر فيما يتعلق برسالة يعقوب مبالغ فيه إذ أنه يشير إليها بأنها تحتوي بحق هش.

إن كلاً من بولس ويعقوب أعطاهما الرب وحياً ومسوقين من الروح القدس في كل من رسالتي رومية ويعقوب والرب لا يناقض نفسه وهناك مبدأ كتابي هام ألا وهو أن الكتاب يفسر نفسه وهل نتخيل أن بولس ويعقوب يعلنان اختلافاتهما؟ أم أن هناك وسيله لإتمام توافق رسالتيهما لأن كلمة الله لا يمكن أن يكون بينها تناقض ما؟

ما لم يصرح به كل من بولس ويعقوب:

ولكي نبدأ طريق التناغم والتوافق هذا فإننا يجب أن يكون في بالنا ما لم يصرح به كل منهما بالمقابلة مع فكرتهما. فلم يذكر يعقوب –مثلاً – أن الأعمال الصالحة تستطيع أن تعطي الخلاص للإنسان كما وأنه لم يذكر أن التبرير يحصل عليه بمزيج من الإيمان والأعمال مناصفة بينهما. وبصريح العبارة ذكر أن الإيمان بدون أعمال ميت وأشار أن الأعمال الصالحة مرتبطة بالإيمان بالخلاص.

كما أن بولس لم يسجل في رسالة رومية بأن الإيمان؛ في أية صورة كان، يعطي خلاصاً للإنسان كما ولم يعّلم بأن الإيمان لا ينتج أعمالاً صالحة بل قال بأن الإنسان يتبرر بالإيمان وليس بالأعمال وأشار بأنها ليست أساس الخلاص. وهكذا لاحظنا أن كتابات كل من بولس ويعقوب ليست من وجهتي نظر متعارضتين. إلا أنهما من أول وهلة ونظرة يبدوان أنهما متعارضتين كلية فليستا متضادتين أو متعارضتين منطقياً ولكي نتفهم بوضوح تعليم كل منهما يجب أن نقترب أكثر بالفحص والتدقيق.

وجهة نظر هامة

دعنا –أيها القارئ العزيز – نتساءل ما الذي يبدو في شكل مربع ومثلث لمشهد واحد؟ والإجابة السريعة وخاطئة أيضاً بأنه لا يوجد نظير ذلك فهو مستحيل إلا أن الإجابة المنطقية والعملية هي أن الهرم في منظور أفقي يشبه المثلث وإذا نظرنا إليه من أعلى في الجو نراه في شكل مربع.

إن هذا التصور يعيننا على فهم أفضل لكل من تقديري بولس ويعقوب فيما سجلا عن الإيمان الخلاصي فإنهما لا يتعارضان أحدهما مع الآخر إذ أن كل منها له وجهة نظر مختلفة حيث أن بولس نظرته إلى الإيمان من أعلى، وجهة النظر الإلهية فالرب ينظر إلى الإيمان الشخصي دون النظر إلى نتائجه؛ إذ أن إيمانه لا يحدده أو يعتمد على الأعمال الصالحة بينما يعقوب من الجانب الآخر ينظر إلى الإيمان من المنظور الأفقي، وجهة النظر البشرية. فنحن لا نرى القلب كما يراه الرب ولكننا نلحظ النتائج في حياة من يدعّي الإيمان وهذا الأخير تؤكده الأعمال الصالحة. وبتعبير آخر؛ فإن نظرتنا إلى الإيمان الخلاصي تحدد تعريف الإيمان. فقد يبدو ظاهرياً أن تعريفَي الإيمان متعارضين ولكن من وجهة إلهية فإن الإيمان الذي يخلص لا تنشئه الأعمال بينما من وجهة النظر

البشرية فإن الإيمان الذي يثمر أعمالاً صالحة يراها الناس هو الإيمان الحقيقي إذاً فهناك توكيد باختلاف وجهتي النظر في تصوير الإيمان الذي يخلص.

إبراهيم كمثال

إن يعقوب وبولس استخدما إبراهيم كمثال يقدم حقيقة لامعة متناغمة مع هذه النصوص وكجزء من مجادلتهما اقتبسا من سفر التكوين (ص١٥: ٦) قول الكتاب "فآمن (إبراهيم) بالرب فحسبه له "براً" إنه أمر خطير وحاسم معاً أن يقتبس كل منهما جزءاً معيناً كحجة لوجهة نظره الخاصة. ففكرة بولس أن إبراهيم أعلن الرب عنه إنه بار قبل الختان (علامة الطاعة) وقبل الناموس بزمن طويل أي بمعنى أن إبراهيم لم يعمل شيئاً لينال الخلاص والبر كل ما هناك آمن بالله فقط. وفي هذا سجل في (رو٤: ٢، ٣) قوله "أَنَّهُ إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ تَبَرَّرَ بِالأَعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ، وَلكِنْ لَيْسَ لَدَى اللهِ. لأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا».

أما يعقوب من الوجهة الأخرى فقد رأى أن إيمان إبراهيم تحقق وتأكد بأعماله حيث قال في (ص٢: ٢١-٢٣) «أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ؟ فَتَرَى أَنَّ الإِيمَانَ عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِالأَعْمَالِ أُكْمِلَ الإِيمَان وَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا وَدُعِيَ خَلِيلَ اللهِ».

ولاحظ – عزيزي القارئ – لم يقل يعقوب عمل إبراهيم الإيماني كان سبباً لإعلان الله عن تبريره. إذ أن ذلك تم في (تك١٥: ٦) قبل حوالي ٣٠ سنة من عمل إيمانه –تقديم إسحق على المذبح المذكور في (تك٢٢) ولهذا سجل يعقوب "وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً" (٢: ٢٤).

في ضوء كل ذلك لا نجد تضارباً بين بولس ويعقوب. لقد كانت أعمال إبراهيم ضرورية ليس لأنها تحمل في طياتها نوعاً من الاستحقاق الجوهري لتبريره، ولكن لأنها برهنت حقيقة إيمانه. وفكر كل منهما أن إبراهيم تبرر في نظر الله قبل وقت طويل لأي عمل بر قام به.

الكثير الذي قاله بولس

حينما نتأمل فيما قاله بولس فيما يتعلق بالعلاقة بين الإيمان والأعمال في الرسالة إلى أهل روميه نتذكر ما قاله أيضاً في رسائله الأخرى. فمثلاً في (غلا٥: ٦) نقرأ قوله «أَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لاَ

الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ». وهذا الشق الأخير "الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ" يعبر عما يقوله يعقوب أليس كذلك؟ فلم يكن بولس ضداً للأعمال الصالحة ولكن يجب أن تكون واجبة للبرهان عن الإيمان الخلاصي وليست حتمية لنواله. وحينما نقرأ ما يقوله في (أف٢: ٨، ٩) كبرهان ضد التعليم الخاطئ للخلاص بالأعمال فيجب ألا نغفل ما سجله أيضاً في العدد التالي (ع١٠) حيث قال «أَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا».

إنه– مرة أخرى – ليس ضداً للأعمال الصالحة! إن هدفه من تحذير أهل رومية هو أن يبطل فكرة أن إمكانية تبرير الإنسان هي على أساس استحقاقات الأعمال. إذ أن الإنسان لا يمكنه إطلاقا عمل أي شيء للحصول على رضى الله فنحن "بالنعمة مخلصون بالإيمان" ليس إلا.

الكثير الذي قاله يعقوب

حينما نتأمل ما قاله يعقوب فيما يتعلق بالعلاقة بين الإيمان والأعمال فهناك ملاحظة هامة يجب مراعاتها. فالأعمال التي يقدمها من حياة إبراهيم (٢: ٢١–٢٣) وعن راحاب (٢: ٢٥) هي في ذاتها أعمال صالحة وبدون إيمان فتلك الأعمال تدين القتل – فيما يتعلق بإبراهيم – وتدين أيضاً الخيانة العظمى للوطن – فيما يتعلق براحاب وهذين العملين – القتل والخيانة العظمى للوطن– لا يمكن أن يندرجا تحت بند أعمال صالحة نظير ما يمكن عمله لمعاونة المشردين والمساكين وأعمال إيمان كل من إبراهيم وراحاب لم تكن أعمالاً صالحة جديرة بالمكافأة لأنها – وبدون الإيمان – فهي لا يمكن أن تكون –إطلاقاً– أعمالاً صالحة وهكذا لم يكن يجادل بأن أعمال كل من إبراهيم وراحاب أضافت شيئاً لإيمانهما. بل إن وجهة نظره أن أعمال إبراهيم وراحاب أثبتت أن إيمانهما كانا حقيقياً وأنها كانت لإيمان حي فيهما.

وحري بنا أن نلاحظ كيف بدأ يعقوب مناقشته عن الإيمان والأعمال. «مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ، هَلْ يَقْدِرُ الإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟» (يع٢: ١٤) وبمعنى آخر أي شخص يقول إن له "إيمان" وقد يكون هذا التقدير مجرد كلام؛ هل مثل هذا الإيمان يخلصه/يخلصها؟ والإجابة الواضحة بكل قوة "لا".

إيمان مثل هذا – مجرد اعتراف شفوي – ليس أفضل من إيمان الشياطين كما يوضح ذلك يعقوب في (ع١٩) وبلا شك فإن مثل هذا الإيمان لا يخلص، إنه إيمان ظاهري غير حقيقي. وعلى

هذا الأساس فأي إيمان يمكن أن يخلص؟ ويعقوب يقول إن الإيمان يظهر نفسه قوياً بأعمال الطاعة. إن الأعمال ذاتها لا تشترك في عملية التبرير ولكنها شاهدة لنوع الإيمان الضروري للتبرير.

إن أبطال الإيمان في (عب١١) ليس مجرد إيمان في أذهانهم كما وأن إيمانهم استخدم قلوبهم وعقولهم وأكد وجوده "بأعمال الإيمان" والأخيرة لا تخلصهم ولكنها تؤكد بوضوح أنها حقيقية وأنها نتاج إيمان خلاصي.

الطريق للبشارة

إن الأقوال التمهيدية المختلفة التي سجلها بولس ويعقوب من جهة مسألة الإيمان والأعمال طريق جيد لتقديم البشارة ومناقشة بعض الأفراد في هذه الأيام. فأولئك الذين يظنون بأنهم يجب أن يعملوا كطريق للسماء أو أولئك الذين يظنون–من جهة أخرى– أنهم من الرداءة حيث أنهم لا يستحقون الوجود في السماء فعلينا أن نقدم لهم ما يقوله بولس في الرسالة إلى أهل رومية بأن الخلاص ليس بالأعمال ومن الناحية الأخرى إذا كان هناك أشخاص يعيشون حياة منحلة ظانين بأنهم في طريقهم للسماء لأنهم في حماسهم المبكر سبق وأعلنوا توبتهم عن طرقهم فلمثل هؤلاء نتناقش معهم بما قاله يعقوب. إن الإيمان الذي لا يعلن ذاته في أسلوب حياة الطاعة يضع أمامنا علامة استفهام لأن الإيمان بدون أعمال ليس حياً بل ميتاً.

وهكذا رأينا أن بولس ويعقوب لا يضاد أحدهما الآخر وكمن ساقهما الروح القدس مع كتبة الوحي الآخرين فلا يمكن أن يكون هناك تناقضاً وهذا ما رأيناه. إن التبرير ليس من الأعمال ولكن بالإيمان وحده! كما وأن الإيمان الذي يخلص ليس ميتاً ويتطلب تفكيراً مركزاً ونشي وليس خاملاً. والإيمان الخلاصي ينتج في الحياة أعمال الطاعة إنه يعمل ويعمل.

موضوع العدد(٢) بقلم: توم ويسون

الأعمال الصالحة كما توضحها الرسالة إلى تيطس

إن مقدمة هذه الرسالة تعلن أن الفكرة الرئيسية لدى تيطس بأن هناك تلازم وارتباط بين الإيمان والحياة العملية؛ الإيمان والسلوك وقال أحدهم في كتاباته عن هذه الرسالة: إنها تكلمنا كثيراً عن الأعمال (Chede) «لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا» (٣: ٥) وكان تيطس يتحتم عليه ليكون قدوة في الأعمال الحسنة (٢: ٧) ومخلصنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لإجلنا لكي يفدينا من كل أثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة" (٢: ١٤) فعلينا أن نكون مستعدين لكل عمل صالح (٣: ١) وأن نمارس – بعناية – أعمالاً حسنة (٣: ٨) بل "ليتعلم مَن لنا أن يمارسوا أعمالاً حسنة (٣: ١٤).

وفي مقالنا هذا نتناول موضوع الأعمال الحسنة كما تذكرها رسالتنا هذه كمبدأ عام كما وردت في (١: ١٦، ٢: ٧، ١٠، ١٤، ٣: ١، ٥، ٨، ١٤) أي في ثمان اقتباسات خلال اصحاحاتها الثلاث.

الجزء الأول: الشيوخ المؤهلين:

وفي هذا الأصحاح ينصح الرسول نائبه تيطس ليقيم شيوخاً في كل مدينة ويتأكد بأن حياتهم في توافق مع ما يقتضيه الكتاب في المتقدمين بالكنيسة وأولها غير ملومين وهذا يعني ألا يكون هناك أدنى اتهام بسلوك غير أخلاقي في حياتهم في الكنيسة المحلية وبإثبات الأعمال الحسنة في حياتهم وخدمتهم ليكونوا أمثلة للرعية.

إننا نعيش في وقت تفشى فيه الفشل الخطير في الأمانة بين القادة المؤمنين فيما يتعلق بالاستقامة في الماليات ومجالات الزهو والافتخار بالذات والشيطان بدون شك يستخدم أثر التلفزيون فيما يتعلق بالشهرة وما يُنفق فيها من أموال ضخمة وعند فشل مثل هؤلاء القادة يُشوه اسم المسيح ويسبب خيبة أمل لدى الآخرين بل وتقودهم للتراجع عن إتباع المسيح.

وعكس ذلك يقّدم بولس نفسه كأنموذج حيٍ للقادة إذ قال: «كونوا متمثلين بي كما أنا بالمسيح» (١كو١١: ١)

وهو في ذلك لا يهتم بإتباعه شخصياً بل ببساطة يقدم الإنجيل بقوة الروح القدس ويقودهم للتمثُّل بالمسيح "فإننا لم نكن في كلام ملق كما تعلمون ولا في علة طمع. الله شاهد. ولا قبلنا مجداً من الناس ولا منكم ولا من غيركم"

يحذر بولس نائبه تيطس من أعمال الكريتيين للإنجيل: «فَإِنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ مُتَمَرِّدِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْبَاطِلِ، وَيَخْدَعُونَ الْعُقُولَ، وَلاَسِيَّمَا الَّذِينَ مِنَ الْخِتَانِ، الَّذِينَ يَجِبُ سَدُّ أَفْوَاهِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَقْلِبُونَ بُيُوتًا بِجُمْلَتِهَا، مُعَلِّمِينَ مَا لاَ يَجِبُ، مِنْ أَجْلِ الرِّبْحِ الْقَبِيحِ.قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ نَبِيٌّ لَهُمْ خَاصٌّ الْكِرِيتِيُّونَ دَائِمًا كَذَّابُونَ. وُحُوشٌ رَدِيَّةٌ. بُطُونٌ بَطَّالَةٌ» (١: ١٠-١٢) يشبهون أولئك الذين أشار إليهم الرب نفسه : «هذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا، وَبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي» (مر٧: ٦، ٧) بمعنى أنهم يكتفون بالكلام لأن أعمالهم تثبت أنهم بعيدون عن الرب. وبولس يشير إلى الكريتيين لأنهم مجرد معلمين وليسوا في سلوك المؤمنين «قَدْ تَنَجَّسَ ذِهْنُهُمْ أَيْضًا وَضَمِيرُهُمْ. يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ اللهَ، وَلكِنَّهُمْ بِالأَعْمَالِ يُنْكِرُونَهُ، إِذْ هُمْ رَجِسُونَ غَيْرُ طَائِعِينَ، وَمِنْ جِهَةِ كُلِّ عَمَل صَالِحٍ مَرْفُوضُونَ» (١: ١٥، ١٦).

وفي الكنيسة المحلية فإن القادة الروحيين يحيون حياة مثالية أمام الله والناس «ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَّارًا، لاَ عَنِ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالاخْتِيَارِ، وَلاَ لِرِبْحٍ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ، وَلاَ كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الأَنْصِبَةِ، بَلْ صَائِرِينَ أَمْثِلَةً لِلرَّعِيَّةِ»

الجزء الثاني: مواقف المؤمنين:

هناك نجد أن بولس يوجه المؤمنين للسلوك الحسن والمبادئ الروحية في مواجهة المعلمين الكذبة الذين سبق ذكرهم فيما سبق. وإذا كان عمل تيطس في كريت عمل راعوي فإن بولس يذكره أن يتكلم مع مختلف المؤمنين – الأشياخ والعجائز والحدثات والأحداث والعبيد(٢: ١-١٠) وأن يعظ بهذا ويوبخ وليس كما يفعل الكريتيون وأن يقدم نفسه قدوة في كل عمل حسن حتى لا يجلب عاراً على الإنجيل. "مقدماً نفسك في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة ومقدماً في التعليم نقاوة ووقاراً وإخلاصاً وكلاماً صحيحاً غير ملوم".

وذكر له أيضاً قائمة بالأعمال الحسنة التي يجب أن يمارسها الأشياخ في الكنيسة «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَكَلَّمْ بِمَا يَلِيقُ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ: أَنْ يَكُونَ الأَشْيَاخُ صَاحِينَ، ذَوِي وَقَارٍ، مُتَعَقِّلِينَ، أَصِحَّاءَ فِي الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالصَّبْرِ» وهذه نتائج النضج الروحي وتعطي توازن للكنيسة المحلية وهو ما نحتاجه فعلياً في هذه الأيام.

وبالمثل فإن العجائز يجب أن يظهرن النضج الروحي أيضاً لكي ينصحن الحدثات أن يكن معينات لأزواجهن ليصبحن أمهات صالحات يربين أولادهم طبقاً لكلمة الله وبهذا لا يُجدف على كلمة الله وفي هذا قال له: «ذَلِكَ الْعَجَائِزُ فِي سِيرَةٍ تَلِيقُ بِالْقَدَاسَةِ، غَيْرَ ثَالِبَاتٍ، غَيْرَ مُسْتَعْبَدَاتٍ لِلْخَمْرِ الْكَثِيرِ، مُعَلِّمَاتٍ الصَّلاَحَ، ٤لِكَيْ يَنْصَحْنَ الْحَدَثَاتِ أَنْ يَكُنَّ مُحِبَّاتٍ لِرِجَالِهِنَّ وَيُحْبِبْنَ أَوْلاَدَهُنَّ، مُتَعَقِّلاَتٍ، عَفِيفَاتٍ، مُلاَزِمَاتٍ بُيُوتَهُنَّ، صَالِحَاتٍ، خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ، لِكَيْ لاَ يُجَدَّفَ عَلَى كَلِمَةِ اللهِ» (٢: ٣-٥).

أما عن الأحداث فيجب أن يكونوا متعقلين (٢: ٦) ولا شك أن بولس كان يشير إلى الأنشطة المتهورة للشباب وأظن أنه كان يتكلم عن الحاجة إلى القداسة الشخصية وبصفة خاصة فيما يتعلق بتعاملهم مع الحدثات. وفي كلامه لتيموثاوس الشاب سجل بولس «وأما الشهوات الشبابية فأهرب منها وأتبع البر والإيمان والمحبة والسلام» (٢تي٢: ٢٢) وأيضاً نصحه بأن يتعامل مع الأحداث كأخوة والعجائز كأمهات والحدثات كأخوات بكل طهارة" (١تي ٥: ١، ٢) والأحداث الذين يخافون الله عليهم أن يمارسوا الأعمال الحسنة في القداسة والنقاوة ويتعاملوا باحترام مع الحدثات في رضى الرب ويكونوا قدوة للآخرين «لا يستهن أحد بحداثتك بل كن قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الإيمان في الطهارة»(١تي٤: ١٢).

أما فيما يتعلق بالعبيد والذين يعملون بالأجر عليهم بأن يقوموا بأعمالهم «لكي يزينوا تعليم مخلصنا الله في كل شيء» (٢: ١٠) ويمكننا أن نتساءل: هل نحن أمناء؟ هل نمارس المسيحية في أعمالنا؟ هل نقوم بأعمالنا دون تذمر؟ «وكل ما عملتم فاعملوا من القلب كما للرب وليس للناس» (كو٣: ٢٣).

الجزء الثالث: الأعمال الحسنة للجميع:

ونتناول هنا مع أعمال الإيمان التي تشكل "الأعمال الحسنة" التي يمارسها جميع المؤمنين. فالخضوع للسلطات القائمة جزء هام من الأعمال الحسنة (٣: ١) وكما يوضح الأصحاح الأول من رسالة تيطس، فقد وضع الرب الأشياخ في الكنيسة المحلية للمحافظة على تركيبة ونظام الجماعة. ويجب أن نخضع لهم حتى تؤدي الكنيسة التقدم في الطريق الصحيح والمثمر. وتؤكد ذلك الرسالة إلى العبرانيين حيث نقرأ في (عب١٣: ١٧) «أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذلِكَ بِفَرَحٍ، لاَ آنِّينَ، لأَنَّ هذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ» ولكنيسة التسالونيكيين كتب بولس: « ثمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَعْرِفُوا الَّذِينَ يَتْعَبُونَ بَيْنَكُمْ وَيُدَبِّرُونَكُمْ فِي الرَّبِّ

وَيُنْذِرُونَكُمْ، وَأَنْ تَعْتَبِرُوهُمْ كَثِيرًا جِدًّا فِي الْمَحَبَّةِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِمْ. سَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١تس٥: ١٢، ١٣). فالأشياخ يعينون الكنيسة المحلية للنمو وإذ نطيعهم ونعمل تحت توجيهم نصبح جزءاً من ذلك العمل.

ونرى في الأصحاح الثالث من رسالة تيطس صورة ناصعة وكاملة لرسالة الإنجيل. فهو يبدأ بالخطاة وغير المتجددين والإنسان في مقامه النجس (٣:٣) ثم يقدم الخلاص العظيم والكامل حين ظهر لنا لطف مخلصنا الله وإحسانه (٣: ٤، ٥) وعمل بعد ذلك الروح القدس للتجديد وسكناه في قلوبنا بقوة يسوع المسيح مخلصنا (٣: ٥، ٦) وينتهي بتبريرنا بالنعمة والرجاء الذي لنا (٣: ٧) وهذا سبب تكريسنا لنمارس "أعمالاً حسنة" (٣: ٨) وليس ذلك قاصراً على المؤمنين المتفرغين لعمل الرب بل هي "حسنة ونافعة للناس" (٣: ٨).

وليست الأعمال الحسنة قاصرة على بعض الأنشطة بل هي جزء هام ومكمل لكل ما نعمل. وليس أفضل من أو يمكن مقارنته بأن نحيا لسيدنا ونتمتع بحياة مثمرة ونختبر ذلك حينما نترك للرب أن يتمم خطته في حياتنا «لَمْ نَزَلْ مُصَلِّينَ وَطَالِبِينَ لأَجْلِكُمْ أَنْ تَمْتَلِئُوا مِنْ مَعْرِفَةِ مَشِيئَتِهِ، فِي كُلِّ حِكْمَةٍ وَفَهْمٍ رُوحِيٍّ لِتَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلرَّبِّ، فِي كُلِّ رِضىً، مُثْمِرِينَ فِي كُلِّ عَمَل صَالِحٍ، وَنَامِينَ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ» (كو١: ٩، ١٠).

ما سبق هو محتوى كتاب "تنمية عادة الأعمال الحسنة" للمؤلف أيان تيلور؛ وأعلق على ما تقدم فأقول بأن طريق المؤمن سيصبح بسيطاً إذا نمونا في الاعتياد على الأعمال الحسنة. ليست المسألة أن نعمل أعمالاً بارعة ثم نطلب لنفوسنا راحة باقي اليوم. والمؤمن الحقيقي هو الذي يتقدم بعزم ولا يؤثر على مساره إلا ضعف خطاه نحو الهدف. وهذا ما كان أمام الرسول – فيما يظن– حينما كتب «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ. وَأُرِيدُ أَنْ تُقَرِّرَ هذِهِ الأُمُورَ، لِكَيْ يَهْتَمَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ أَنْ يُمَارِسُوا أَعْمَالاً حَسَنَةً» (تي٣: ٨) أنه وضع طريقة الخطو والمسار بمثل عظيم وأظن أنه صعب أن نتمم ما يقول إنه هام جداً أن نحاول بكل الجهد لذلك.

موضوع العدد(٣) بقلم: توم سمرهيل

لنعمل أعمالاً صالحة في كل وقت

قد يكون التعبير "أعمالاً صالحة" يمكن أن يعني تقريراً معيناً أو موضوعاً للبحث. فالصلاح ينتج أعمالاً صالحة كالبذرة الجيدة تنتج ثماراً جيدة. «هل يجتنون من الشوك عنباً أو (من الحسك) تيناً» (مت٧: ١٦) وعكس ذلك فالشرير ينتج أنواعاً من الشرور من أذى وبلايا. ونلاحظ أن "الأعمال الصالحة" ترد إحدى عشر مرة في العهد الجديد ولا تُذكر في العهد القديم. وأول ذكر لها في العهد الجديد هي التي ترد على فم المخلص نفسه « فلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (مت٥: ١٦) والكلمة قريبة للمعنى هي التي نجدها في (١صم١٩: ٤) إذ نقرأ «وَتَكَلَّمَ يُونَاثَانُ عَنْ دَاوُدَ حَسَنًا مَعَ شَاوُلَ أَبِيهِ وَقَالَ لَهُ لاَ يُخْطِئِ الْمَلِكُ إِلَى عَبْدِهِ دَاوُدَ، لأَنَّهُ لَمْ يُخْطِئْ إِلَيْكَ، وَلأَنَّ أَعْمَالَهُ حَسَنَةٌ لَكَ جِدًّا.» ومع ذلك فغياب التعبير في حد ذاته لا يشير بأن العهد القديم لا يعتد بالأعمال الصالحة. إذ أن ناموس موسى مشغول بعمل الصلاح من نحو الله والرفيق والغريب.

سجل الشرف

إن توكيد العهد القديم على الأعمال الصالحة نجده موضحاً في العهد الجديد ففي الرسالة إلى العبرانيين (ص١١) يضع أمامنا قائمة بالأعمال الصالحة بقديسي العهد القديم وذلك الاصحاح هام لفهمنا ما يعنيه الكتاب بالأعمال الصالحة ففي (ص٦) نقرأ «بدون إيمان لا يمكن إرضاء»(الله)" فكل عمل صالح مصدره الإيمان. وحيث أن الخلاص هو بالإيمان فقط فلا يمكن ممارسة أعمال صالحة حسب المكتوب قبل الخلاص فليس الأخير هو مكافأة الأعمال الصالحة. وحسبما تكون مكافأتنا في السماء لأعمالنا الصالحة فهي ليست مكافأتنا العظيمة (مت٥: ١٢) إن الخلاص هبة مجانية يمنحها الله لمن يعترفوا بعدم قدرتهم للحصول على الحياة الأبدية من جانبهم (يو٤: ١٠، رو٦: ٢٣).

الإيمان بنفوسنا مميت:

إن الحق الواضح بأن خلاصنا «ليس من أعمال» (رو٩: ١١، أف٢: ٩) هو صدمة وفضيحة وسبب رعب لأولئك الذين يرفضون الاعتراف بخرابهم بسبب خطاياهم. وفي الحقيقة فإن

الذين يريدون اكتساب رضا الله بحفظ وصاياه ونواهيه هم في مهانة وذل بحمل الخطية. والنقطة الجوهرية للبشارة أنها تضع الفأس على أصل افتخار البشرية. فالخلاص بدون الإيمان بالمسيح وهذا حق حتى إن وجدنا الكثيرين الذين لا يقبلون أن الرب لا يؤهل غير التائبين المناضلين في حرب مستميتة للأعمال مقدمين كل تضحية للخير والتحسين. فليس للمبشرين الدينيين في هذا المجال أي نصيب أو مكان في الملكوت؛ ذلك لأنه كما قال ابن الله– له المجد– لنيقوديموس القائد الديني ومعلم إسرائيل «إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» (يو٣:٣).

الميزة المؤقتة والمكافأة:

بينما كل ما سبق حقيقي، فالرب سيدين تلك الأمم الجاحدة الذين يقدرون بنيهم وبناتهم فالصلاح المؤقت يتطلب مكافأة مؤقتة. ولهذا السبب ينبغي ألا ننسى أولئك الذين بذلوا حياتهم وأوقات خدمتهم لمن يأتون بعدهم. مثل أولئك الأمناء تتم مكافأتهم في حياتهم أو تبقى ذكراهم بعد الرحيل. ولا يمكن أن يرحب الآب في بيته بمن أوصدوا قلوبهم ورفضوا "ابنه الوحيد" (يو٣: ١٦).

إن العالم يضع تعريفاً للأعمال الصالحة مغايراً وبعيداً جداً عما تعنيه روحياً إذ تُعني أنها الأعمال التي يعملها مَن طهَّر الله بالإيمان قلوبهم من الخطية ومَن اكتسبوا «البر الذي من الله بالإيمان» (في٣: ٩).

وابن الله يدين أيضاً قلب الإنسان الطبيعي الذي يُخرج كل أنواع الأفكار الشريرة (مت١٥: ١٩) والفكرة الأكيدة أننا إذا تعمقنا أكثر فأكثر في القلب فإننا نجد أن الأعمال الصالحة فينا هي الهرطقة بعينها. إذ أن إشعياء يقرر «صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة كل أعمال برنا» (إش٦٤: ٦) وإذا آمنا بالمسيح وقبلناه؛ الذي «مات لأجل الجميع» (٢كو٥: ١٤) إذ حمل خطايانا بأشكالها المختلفة للإنسان الطبيعي وفي (رو٣: ٢٣) نقرأ «الجميع أخطئوا» لا يُستثنى أحد من التورط الذي نراه في الجلجثة وبلا تحيز أو إحجام فالصليب يلقي بظله على كل غني يشغل حجرة أو جناحاً في فندق ومَن لا مأوى له. وكنتيجة حتمية فكل شخص يرفض التوبة غير المشروطة والإيمان سيموت في خطاياه أو خطاياها.

أموات في الذنوب والخطايا:

إن كان استثناء أن يخطئ المؤمن فإنه لا استثناء لمن لا يؤمنون به أن يخطئوا وفي هذا الخصوص يصف بولس الرسول غير المؤمن إنه «ميت في الذنوب والخطايا» (أف ٢: ١) والأموات رجالاً ونساءاً لا يستطيعون أن ينهضوا ويقوموا بعمل البر. بل بالعكس يمضون في طريق الفساد وإلى التراب وفي هذا سجل الروح القدس في حالة جمع المن أن يُحفظ وفي تحدٍ لأمر الرب «فتولد فيه دوداً وأنتن» (خر١٦: ٢٠) والرب من خلال موسى- في تلك الحالة- عبّر عن غضبه الشديد ضد أولئك الذين لم يطيعوه.

المكافأة هي الحافز:

لقد وعد الرب في كلمته أن يكافئ الأعمال الصالحة- فيما سبق وأوضحنا- بما يناسبها من مجد وقوة (١كو٣: ١١-١٥) فهو – له المجد- يقدِّرها ويكافئها بحياة هنية ومجد وقوة الملكوت (مت٦: ١-٤، رؤ٢: ١٠، ٢٢: ١٢) أما تلك التي يعملها البعض لاكتساب زهو وشهرة فليست لها أية مكافأة بل ستحترق. ولهذا يكتب الرسول بولس "عمل إيمانكم وتعب محبتكم وصبر رجائكم" (١تي١: ٣). وإن كان الواجب هو الدافع للعمل بديلاً عن المحبة وأساس طاعتنا فلا نجني إلا المديح من الناس.

وفي قصة السامري الصالح لم يستجب لدعوة الواجب بل كان الدافع له هو عواطفه ورغبته في تضميد وشفاء الفريسي (لو١٠: ٣٣). إن العمل الصالح لشخص لا يملك رد الجميل هو ما يعمله الرب لأحبائه. حيث أن «ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله» (مت١٩: ١٧) فذلك بخلاف ما نعمل متمثلين بإخلاص بالرب ليس بالعمل الصالح. وعلينا – عزيزي القارئ- أن نميز بين الأعمال الصالحة الروحية وبين المسئولية الاجتماعية.

الأعمال الصالحة للأعداء:

في (تك١) حينما أنتهي الله (إلوهيم) من جميع أعماله رأى ذلك "أنه حسن" و"حسن جداً" (ع١٠، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٥، ٣١) وفي الأولى كان ذلك التقرير متعلق بالخليقة ونعلم بأنه بارك والدينا الأولين وليثمرا صلاحاً ورقة ومحبة وما فعله الله أصبح فيما بعد مثالاً لكل عمل صالح وكان الأخير في مفهوم العهد القديم "وأعمل الحسن والصالح في عيني الرب"(تث٦: ١٨). وبالرغم من عدم طاعة الإنسان استمر الله يعمل "يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين" (مت٥: ٤٥) وبينما من الميسر أن نحب أخوتنا أكثر من أعدائنا، فإنه يطلب منا أن

نتمثل بصلاحه من جهة غير المؤمنين ويكتب الرسول بولس "حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع ولا سيما أهل الإيمان(غلا٦: ١٠).

فرصة بلا حدود:

بينما هناك اختلاف للعطية بين المؤمنين إلا أنه ليست هناك حدود لكمية العمل الصالح الذي يستطيع أصغر مؤمن أن يعمله. فمثلاً نقرأ "وكان في يافا تلميذة اسمها طابيثا...ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها" (أع٩: ٣٦) وبالمقارنة مع بطرس فهي لم تكن تشفي أو تقيم من الأموات إلا أنها لم تمنع أن تظهر عواطف المسيح نحو المرضى والحزانى والفقراء فمَن لا يستطيعون أن يشفوا مرضى يمكنهم مد يد المعونة لهم. ومَن لا يستطيعون أن يقيموا موتى يمكنهم في أقل تقدير مشاركة المتألمين وهناك مَن يأخذون على عاتقهم الاهتمام بالفقير وإن كانوا لا يستطيعون أن يجعلوا السماء تمطر خبزاً. هذه جميعها لها التقدير الوافي في عيني الرب إن التقدير الإلهي الذي أعلنه الرب عن مريم في (مت١٤: ٨) "عملت ما عندها" كاف لسرور الرب الذي يعمل لتكميله طبقاً لمشيئته.

دعوة للأعمال الصالحة:

بينما يفترض معظم التلاميذ أن الخلاص هو في مضمونه النجاة من جهنم إلا أن الكتاب المقدس يعلمنا بخلاف ذلك. في حين يهدف المنافقون من فعل الأعمال الصالحة لشهرتهم فإن أولاد الله إذ يعملونها فإنما ليمجدوا "أباهم الذي في السموات" (مت٥: ١٦) ومن الناحية الأخرى يحرضنا الكتاب "أسلكوا كما يحق للرب في كل رضى مثمرين في كل عمل صالح ونامين في معرفة الله" (كو١: ١٠) كما ويدعونا قائلاً: "مكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب" (١كو١٥: ٥٨).

موضوع العدد (٤) بقلم: جيرارد

الإيمان ينشيء ويظهر الأعمال الحسنه

كثيراً ما يتحدث المؤمنون عن كمال عمل المسيح حينما جاء ليذهب إلى الجلجثة ليقدم جسده كالذبيحة للخطاة الآثمين. وإذ أستبقى موته الكفاري استطاع أن يصلى لأبيه "العمل الذي اعطيتني لأعمل قد أكملته"(يو١٧: ٤) حينما صرخ بانتصار "قد أكمل" (غل٥: ١٩) و"أعمال الظلمة" (أف٥: ١١) و"الأعمال الحسنة" (رو٣: ٣١) و"الأعمال" (يع٢: ١٤) وتتحدد نوعيتها حسبما وردت. وبنعمة الله سنوضح ما يقوله الكتاب عن الأعمال الحسنة.

أمتياز هام:

يبرز بولس في رسالته إلى الافسسين أمتيازاً هاماً وهو أنه لأمر حيوي نتمسك به بداية. ففي توضيح عمل المسيح للخلاص الذي يعطي حياة جديدة لمن كانوا أمواتاً حيث يقرر «أَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ.» (أف ٢: ٨، ٩) فأعمالنا أو مجهوداتنا لا تجدي نفعاً في خلاصنا. وإذا كان غير ذلك فلنا أن نفتخر فليس الخلاص عن استحقاق بل هو مجرد أن نعمة الله وهبته.

إلا أن بولس يستطرد في العدد التالي فيوضح فكرة الأعمال من وجهة أخرى إذ نقرأ: «لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا» (أف ٢: ١٠) أي بمعنى أن الله صنعنا كقطعة فنية– وتعني في اليونانية قصيدة – فالله خلقنا جديداً في المسيح يسوع الأعمال صالحة؛ أعمال بخصائص حسنة وبالتالي مفيدة للآخرين. فغرض الله بأن تكون حياتنا المسيحية يجب أن تكون في محيط وبيئة أعمال حسنة أي نوجد عاملين ما يسره ويفيد الآخرين. وبالرغم من أن لا دخل لمجهوداتنا الشخصية في هذا الأمر وإننا لم نحصل على الخلاص بأعمالنا الصالحة إلا أننا نلنا الخلاص لنعمل أعمالاً حسنة.

ويعقوب في رسالته يفسر العلاقة بين الإيمان والأعمال. وبها لا يكون لدينا إيمان وإذا كان إيمان شخص ليس عملياً ومنظوراً في المستوى البشري فهو لا يفيد. وفي الحقيقة فإن الإيمان بدون أعمال ميت (يع٢: ٢٠) وهو في رسالته يقدم نموذجين من العهد القديم ليوضح هذه النقطة؛ إبراهيم

وراحاب كانت لهما خصائص مختلفة؛ إلا إنهما كان لهما إيمان كما وإنهما برهناه بما فعلاه (يع٢: ٢١-٢٦).

ولتطبيق ذلك عملياً فإن يعقوب يخبرنا بأن الإيمان الحقيقي ليس هو الرغبة في أن يكون المحتاجين في اكتفاء بل أن نهتم ونعتني بهم ولربما استلزم ذلك توفير الملابس والطعام لهم (يع٢: ١٤-١٧) إن الإيمان بالمسيح هو إيمان حي وإذا لم يتبرهن بتصرفات عملية فإنه يبرز أمامنا تساؤل إن كان ذلك الإيمان موجوداً أم منعدماً.

الإشارة الأولي:

في (مت٥: ١٦) نجد أول ذكر للأعمال الحسنة في العهد الجديد. فقد قال الرب «فليضئ نوركم قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» إذ أنه كان يتكلم عن النور فالسراج الموقد لا يُخفى بل بالحري يوضع في مكان بارز لينير مَن هو في الظلمة وبالتبعية فمَن يتبعه يجب أن ينير لمن حوله فذلك النور هو بمثابة أعمال حسنة ولاحظ – عزيزي القارئ – أنه ليس الغرض من هذا النور هو أن ينتج مديحاً لمن يقدمه. إلا أن أولئك الذين اختبروا فعل الأعمال الحسنة أيقنوا أنهم مرتبطون مباشرة بعمل الله في حياتهم وأن كل المجد لابد أن يرجع إليه.

ومثالنا في ذلك هو الرب يسوع نفسه. وبطرس الذي عرفه جيداً أعلن أن شخصه –له المجد – «جال يصنع خيراً» (أع١٠: ٣٨) ألا تذكر أن كلاً من الأعمى والأصم والمقعد والمريض نال الشفاء بكلمته واذكر –عزيزي القارئ– مَن اختبروا لمسته الحانية أو كلماته المشجعة نالوا تعضيداً وقوة. إن تلك الأعمال الخيّرة قد أنجزها لأن الآب أرسله وتمجد الآب بها. إلا أنها بكل أسف وأسى أظهر اليهود حيالها كل كراهية وبغضة (يو١٠: ٣٢) أما أولئك الذين تبعوه –أي التلاميذ – كسيدهم. فإذ فعل أعمالاً حسنة فهكذا يجب عليهم أن يعملوا نفس الشيء.

مثال لامع:

في(أع٩) نجد مثالاً لامعاً في شخصية طابيثا التي كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وتابعة للرب (ع٣٦) وترجمة أعمالها كانت تعني "مفيدة" وهنا ندرك كم استفاد الكثيرون مما فعلت.

لقد قامت بعمل ما كتب عنه يعقوب في رسالته بعمل ملابس للمحتاجين (أع٩: ٣٩) وهناك نوعين من الملابس التي كانت تعملها طابيثا؛ ملابس داخلية وخارجية. وهل كانت تهدف مما تعمل

لإظهار مهارتها عندئذٍ كانت تكتفي بالملابس الخارجية دون الداخلية إلا أنها كانت تعملها معاً واستفاد الكثيرون مما كانت تعمله تلك التلميذة إظهاراً لإيمانها.

في رسالته الأولى لإبنه تيموثاوس كتب بولس عن عمل المرأة المؤمنة ونقرأ عن أهمية الأعمال الحسنة التي تؤديها مرتين في كل من (١تي٢: ١٠، ٥: ١٠) وفي الحقيقة فإن النساء التقيات هن أولئك اللائي يهمهن العناية بالآخرين بطرق عملية.

وحتى في أيامنا الحاضرة فهناك فرص كثيرة للسيدات المؤمنات لكي يشاركن في "الأعمال الحسنة" فيعملن أعمالاً مختلفة لمجد الآب السماوي.

تحديات الرعاية

لاحظ – عزيزي القارئ – أنه يوجد أمرين من تلك التحديات في رسائل بولس الرعوية.

فأولاً: يوصى تيموثاوس فيما يتعلق بالأغنياء بدلاً من افتخارهم بغناهم وأنانيتهم فيدخرون المال بل بالحري يدركون أن الله يمنحنا كل شيء ويستخدمون غناهم لأجله وأن يصنعوا صلاحاً وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحه وأن يكونوا أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع (١تي٦: ١٨) بدلاً من أن يكونوا مجرد أغنياء بل بالحري "أغنياء في أعمال صالحة" وإذا كان الرب يباركنا مادياً فيجب علينا أن نكون مستعدين لمشاركة الآخرين.

ولقد واجه تيطس أيضاً تحدياً ففي مهمته التعليمية في كريت كان عليه أن يكون قدوة للآخرين. فالأحداث– بصفة خاصة– يجب أن يلاحظهم وأن يكون فيما بينهم "قدوة في الأعمال الحسنة" (تي٢: ٧) فهو ليس فقط مشغول بخدمته التعليمية بل أن يحيا حياة مسيحية. واللفظ "حسنة" تعني أنها حقيقية بمعني حسنة في ذاتها. وفي الحقيقة فإن كل المؤمنين يجب أن يكونوا "غيورين في أعمال حسنة" (تي٢: ١٤) فحياتنا يجب أن تكون لحساب الرب والأعمال الحسنة جزء هام منها.

ماذا عسانا أن نفعل؟

هناك ثلاث آيات تقدم لنا تحديات لما نستطيع أن نعمله. فأولاً نحتاج أن نفكر في كلمة الله بعمق فهي تعيننا بأن نكون متأهبين" لكل عمل صالح" (٢تي٣: ١٦، ١٧) إنها تعلمنا كيف نعيش

حياة مسيحية وليس للبحث عن إرضاء ذواتنا أو نحيا لأنفسنا. فمسؤليتنا أن نُشبه سيدنا ونحيا لأجل الآخرين.

وثانياً: على المؤمنين أن يتعلموا أن يمارسوا "أعمالاً حسنة" (تي١: ٨) إننا نمجد ربنا يسوع بأن نحيا حياة رائعة. ولا يجب أن تتراخى مجهوداتنا ونصبح في وضع المهملين بل بالحري نراعي أن الأعمال الحسنة يجب ممارستها لنحيا حياة مسيحية كل يوم. وطبعا نحتاج إلى معونة الرب لكي نرضيه وعلينا بالصلاة لنعرف إرشاده لنا لما يجب أن نعمله.

وثالثاً: أن رفقة المؤمنين أمر حيوي. إن التحذير الذي تعلمنا أياه الكلمة غير تاركين اجتماعنا(تجمعنا معاً)" (عب١٠: ٢٥) وهذا الشق قد يكون أقل شيوعاً ويسبقه أمر هام وهو "ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة" وهذا ما فعله الرب نفسه مع التلاميذ إذ علمهم وحثهم أن يتبعوه. ونحن نحتاج أيضاً أن نفكر في الآخرين وبقدوتنا ننشر تشجيعهم للأعمال الحسنة.

الأخبار السارة العمل المؤَّهل إلى السماء

يظن الكثيرون أن طريق إرضاء الله هو الأعمال الصالحة. ومع كل التقدير لكل عمل جيد ونافع إلا أن أعمال الإنسان – مهما سمت – لا يمكن أن تؤهل إلى السماء. وهذا ما يعلنه الكتاب المقدس ويؤكده المنطق كذلك.

فالإنسان خاطئ؛ وأجرة الخطية هي موت (رومية ٦: ٢٣) وليس أعمالاً صالحة. كما أن الإنسان لو قام بالأعمال الصالحة لكان هذا أمراً مفروضاً عليه يُجازى إن قصّر فيه، وليس أمراً يجازى عليه إن تفضل وقام به!!

ناهيك أن أعمال البشر ملوثة بالخطية الكامنة في قلوبهم، فما جدوى ثمرة شهية تقدمها يد ملوثة؟؟

لقد «صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة (خرق نجسة) كل أعمال برنا» (إشعياء ٦٤: ٦) فما بالك بأعمال شرنا!!

هذا إلى جانب أن أعمال البشر ناقصة على نحو ما ولا يمكن أن تنال قبول الله بدرجة كاملة على كل حال.

فما الذي يؤهل الإنسان إلى محضر الله بلا عيب إذاً؟ الواقع أنه عمل واحد كامل من كل الوجوه، قام به الذي هو كمال الجمال في كل شيء؛ الرب يسوع المسيحٍ. الشخص الفريد الذي بلا خطية، والوحيد الذي قيمته أعظم من كل البشر، والوحيد الذي أراد تقديم حياته بقيمتها غير المحدودة فداء لبشر محدودين– أيّاً كان عددهم أو حالتهم – والوحيد الذي قدر أن يدفع الثمن – أجرة الخطية– كاملاً بحسب استحقاقات العدالة الإلهية على الصليب؛ قائلاً «قد أكمل» (يوحنا١٩: ٣٠) نعم لقد أكمل المسيح بموته الكفاري على خشبة الجلجثة العمل الوحيد العظيم الذي على أساسه تمجد الله، وخلص الإنسان، ودحر الشيطان، وأبطل الموت، وستعتق كل الخليقة التي تئن وتتمخض معاً إلى الآن.

قارئي العزيز

أين أنت من هذا العمل العظيم الكامل؟ هل لازلت معتمداً على أعمال برك وهي في نظر الله كخيوط العنكبوت البالية؟ أم استندت بالإيمان على ابن الله الكريم وآمنت بشخصه العظيم وقبلت فداءه الثمين لأجل خلاص نفسك الخالدة أبدياً وبركتك الروحية من الآن في الزمان؟ ليتك تفعل الآن وفوراً.

أبتي لا تتركني

وجهَـــكَ لا تحجـــبْ عنـــي أنـــت نـــوري وحيـــاتي
أبتـــــــي لا تتركنـــــــي أنـــت فـــي الضـــيقِ نجـــاتي
مـــــن عـــــلاكَ قرّبنـــــي هـــاتِ إحســـانكَ هـــاتِ
أبتـــي فيـــكَ حيـــاتي!
أبـــــي، أمـــــي تركـــــاني صـــــرتُ منهمـــــا يتيمـــــا
أنـــت يـــا أبـــي الســـماوي لســـتَ تنســـاني عمومـــاَ
فـــــــإلي حضـــــــنك آوِي صـــرتَ لـــي الأبَ الكريمـــاَ
مـــا أغنـــاكَ لـــي رحيمَـــا
فـــي انتظـــارٍ لـــك أبـــي فـــي حمـــى ربِّ الفـــداءِ
مَـــنء محـــا لـــي كـــلَّ ذنبـــي بـــل وفـــي عـــرشِ الســـماءِ
ســـــاترًا كـــــلَّ عيـــــوبي شـــافعًا لـــي فـــي العـــلاءِ
فـــي انتظـــارٍ فـــي رجـــاءِ!
أبتـــي أنصـــفني ســـريعًا اطـــرد الأعـــداءَ عنِّـــي
ربـــي جفِّـــف لـــي الـــدموعاَ فتـــراكَ ربـــي عينـــي!
أمـــلأ بـــالفرحِ الضـــلوعاَ يـــا إلهـــي ادنُ منـــي!
لاســـمكَ أبـــي أُغنِّـــي!

دراسات مسلسلة

حياة بطرس

الفصل السادس

الاعتراف المزدوج: (يو٦: ٢٣-٣١، مت١٦: ١٣-٢٨)

في هذه النصوص نرى اعتراف بطرس المزدوج بالرب يسوع. وهو شيء ذو أهمية قصوى للنفس أن تعترف بالمسيح جهراً لأن الروح القدس قال: «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت» (رو١٠: ٩)

والآن عندما أقر بطرس باعترافه الوارد في (يو ٦: ٥) الذي أعتقد أنه يسبق الاعتراف الوارد في (مت١٦) لم يكن الرب يسوع قد قام ولم يكن بطرس نفسه يعتقد أن الرب يسوع سوف يموت.

ويا للجمال أن نرى أن قلبه يرتبط ارتباطاً عميقاً بالمسيح.

إن اعتراف بطرس لم يكن مجرد معرفة عقلية عن من هو يسوع، وهذا واضح تماماً في اعترافه الملتهب المتوهج بربنا في مرة سابقة هذا الرجل المخلص المحب عندما سار فوق الماء لكي يصل إلى يسوع ولم يستطع أن يصل إليه ولكن الرب يسوع هو الذي وصل إليه، وهذا ما أراده بطرس. فكانت رغبته أن يكون قريباً من الرب يسوع وعندما دخل الرب يسوع السفينة وصلوا فوراً إلى الشاطئ إلى حيث كانوا يريدون الذهاب واكتشف التلاميذ أن المسيح هو ابن الله. ولو حدث ذلك في اليوم الذي يسبق الاعتراف المدون في آخر (يوحنا ٦).

وهذا الفصل يعلن خدمته الرائعة عندما قال "أنا هو الخبز الحي" وقال أيضاً: «إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم».

ضع في نفسك بوضوح أيها القارئ العزيز إنك إن لم تأكل وتشرب دمه فليس لك حياة فيك وهذا لا يعني الشركة أو عشاء الرب. كلا لكن عشاء الرب هو رمز وهذه هي الحقيقة إن عشاء الرب هو رمز ربما يأكل الإنسان من عشاء الرب آلاف المرات ولكن يقضي الأبدية في جهنم ولكن لا يستطيع إنسان أن يأكل من جسد ابن الإنسان(روحياً) و يمتلك الحياة الأبدية.

عندما قال الرب هذه العبارة كان يعلم أنه ذاهب ليموت ويقوم أيضاً ويذهب باعتباره إنساناً إلى يمين الله ويعلم أيضاً إنه ذاهب ليعمل العمل الذي يمكنَّ الإنسان من الاقتراب إلى الله، ويعمل الذي يمكنَّ المؤمن في بر المسيح أن يصل إلى حيث المسيح الآن لذلك يؤكد المسيح هنا على ضرورة معرفة شخصه والتغذي عليه قائلاً: «مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (ع٥٤)

وقال المسيح أيضاً : «مَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي.» (ع٥٦)

إنه بكلمات واضحة بسيطة يقول الرب للمؤمن إننا صرنا واحداً، وعندما نتناول هذا الموضوع دعني أسألك أيها القارئ العزيز هل أكلت جسد ابن الله وهل شربت دمه؟ هذا السؤال ينبغي أن تجيب عليه أمام الله وحده. إنه أمر جميل أن تأكل من عشاء الرب مع القديسين ولكن هذا مجرد رمز فقط، إذاً ماذا يقصد الرب هنا أنه يقصد أننا نقبله ونقبل موته ونتغذى عليه وعند ذلك يمكننا أن نحصل على الحياة لأنفسنا.

وكانت قيمة كلام الرب هذا "أن اليهود تذمروا" ثم قال لهم «أَهذَا يُعْثِرُكُمْ؟ فَإِنْ رَأَيْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ صَاعِدًا إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلاً!» (ع٦١، ٦٢).

لقد صعد الرب وجاء الروح القدس وسكن فينا ويمكث في كل مؤمن. ونتيجة لكلام الرب أيضاً «رَجَعَ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْوَرَاءِ، وَلَمْ يَعُودُوا يَمْشُونَ مَعَهُ» (ع٦٦)

لقد كانوا يتطلعون لتأسيس مملكه بالقوة والمجد وعندما تحدث الرب إليهم عن موته فهذا الكلام لم يناسبهم إطلاقاً لذلك تركه الكثيرون.

لقد قال المسيح للأثني عشر «أَلَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا تُرِيدُونَ أَنْ تَمْضُوا؟» (ع٦٧) ويجيب بطرس بقلب حار «إِلَى مَنْ يَارَبُّ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ» وهي شهادة قيمة وأعتراف عظيم «ونَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ قدوس الله[1] »

إني أتساءل أيها القارئ العزيز إن كنت قد اعترفت بالمسيح مثل هذا الاعتراف! إنه لا يقول أظن أو أعتقد أو أرجو ولكن يقول:" ونحن قد آمنا وعرفنا".

---

[1]) كما وردت في ترجمة داربي

لا يوجد أحد في القرن العشرين يتأكد من أي شيء حوله ولا يتأكد من شيء مرتبط بشخص المسيح أو أشياء ترتبط بالأبدية ولكن بطرس كان متأكداً وعارفاً.

حسناً قال بطرس "إلى من نذهب؟" لقد ذهب الآخرون ولا نعر إلى أين ذهبوا، أنهم اختفوا ولم نراهم مرة أخرى وصارت أمورهم إلى أردأ وأسوأ. إنه أمر مؤسف أن يترك المسيح في يوم الصعوبات. هذا ما شعر به بطرس عندما سأل سؤاله المؤثر والذي لا يمكن أن يُجيب عليه حيث لا نجد في الكون كله شخصاً نظير السيد المبارك. إنه الفريد ولقد شعر وعرف بطرس ذلك، وربما كان إدراكه قليلاً بسمو التعليم السماوي ولكنه يعرف أن المسيح وحده يستطيع أن يملأ القلب ويهدئ النفس ويريح الضمير. هل يمكن أن تترك شخصاً مثل هذا؟ كلا هنا شيئان يميزان اعتراف بطرس عندما قال "كلام الحياة الأبدية عندك" عندما قال "أنت قدوس الله" لقد غاص بطرس عميقاً في نفسه فماذا كان عنده؟ ثم قال للرب "أنت تكون" "أنت تملك" فعبارة "من هو" هي بمثابة المكان الثابت لنفوسنا الذي يتكل عليه وعلى عمله.

وعبارة "ماذا يملك أو ما عنده" تشكل المداد الدائم لنفوسنا لكل احتياجاتنا المتنوعة حيث يعطينا كل ما نحتاج ويقدم لنا الحياة الأبدية والفرح الأبدي. إنه خطأ كبير أن نفهم المسيح بوجهة نظرنا الإنسانية.

والآن أسألك أيها القارئ العزيز هل تؤمن على غرار إيمان بطرس أم أنت تشك مثل الناس في القرن الحالي؟

وكان هناك شخص واقف في ذلك اليوم ظهرت حقيقته من خلال اعتراف بطرس ولقد استدار الرب لسماع اعتراف بطرس الجميل وقال لهم: «أَلَيْسَ أَنِّي أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، الاثْنَيْ عَشَرَ؟ وَوَاحِدٌ مِنْكُمْ شَيْطَانٌ!» قَالَ عَنْ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ، لأَنَّ هذَا كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُسَلِّمَهُ، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ» (يو ٧٠، ٧١).

إني أعتقد أنه في هذه اللحظة كان في قلب يهوذا أن يتبع الرب ولو لوقت قصير ليكسب من وراء هذا مكاسب مالية قبل أن يترك الرب.

لقد أراد يهوذا أن يكسب نقوداً من هذا الفعل، لقد أحب يهوذا النقود أكثر من المسيح وكان الذهب هو إلهه وكان الشيطان سيده وكانت نهايته جهنم الأبدية.

هل يوجد شخص يقرأ هذه السطور ويحب المال أكثر من الرب يسوع؟ إنه أخو يهوذا المذكور هنا أحذر وتحذر، إن الله يقدم لك هذا التحذير، هل ستقضي الأبدية مع يهوذا أم مع الرب يسوع؟ مع أيهما؟

نعود الآن أيها القارئ إلى متى ١٦ بعد هذا الاعتراف النبيل لبطرس الذي كنا نتأمل فيه، لقد ذهب الرب إلى نواحي صور وصيدا حيث شفى الرب ابنة المرأة الضعيفة (الكنعانية) ثم ذهب إلى الجليل ونواحي قيصرية فيلبس وهي على حدود البحر المتوسط، المكان الذي كرز فيه بطرس بنجاح في (أع١٠) قيصرية فيلبس التي تعرف الآن باسم "بانياس" وهي مدينة خارج حدود أرض إسرائيل بالقرب من جبل حرمون وقريبة من منبع نهر الأردن.

لقد خرج الرب إلى الأمم وإلى هذا المكان المجاور وسأل تلاميذه: "من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟" (ع١٣).

أراد الرب يسوع أن يعرف ماذا يعتقد الناس فيه لذلك وضع هذا السؤال في هذه المناسبة وكانت الإجابة "البعض يقول إنك يوحنا المعمدان والبعض إيليا وآخرون أرميا أو واحد من الأنبياء" لقد أعلن يوحنا المعمدان من هو هذا الشخص قبل هذه الأمور بثمانية عشر شهراً ولكن الآن بعد كل هذه الشهور الطويلة كان يسير في كل مدينة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الأثني عشر" (لو٨: ١٠) إنها الحياة والمعجزات التي أظهرت أنه ابن الله، واختلفت الصور فبدلاً من أن يقبلوه كالمسَيا لم يعرفوه ولم يهتموا أن يعرفوه للأسف، بالعمى الإنساني.

ويتكلم الرب عن نفسه في الإنجيل باعتباره ابن الإنسان ويُدعي أيضاً ملكاً (مت٢٥: ٣٣).

لقد كان ملكاً غير متوج لا عرش له، لا تتركه الأمة في مجده المناسب وهو الان يسأل تلاميذه "من يقولون إني أنا".

إن مصيرك الأبدي أيها القارئ يعتمد على إجابتك على هذا السؤال «من تقول إني أنا؟» فإن كنت لم تعرف المسيح ولم تعترف به كأبن الله الحي فإنك لا تزال في خطاياك، ربما تكون شخصاً أكثر تديناً في العالم وأكثر وقاراً لكن ماذا تكون قيمة معرفتك إن كنت لا تعرف المسيح، إن الشخص الذي لا يعرف المسيح هو لا يعرف شيئاً، فيا صديقي إذا ذهبت إلى الأبدية وأنت تجهل المسيح فستكون أبديتك مرعبة لذلك فسؤال الرب لك هو «من تقول إني أنا؟» ومرة أخرى نجد

بطرس في المقدمة بملء قلبه وبإيمان حقيقي وارتباط فعلى مع الرب مجيباً عن السؤال قائلاً "أنت هو المسيح ابن الله الحي".

وكم هو جميل للأذن والقلب أن تعرف عن الرب المبارك الذي أتى من السماء ما يجب أن تعرفه ويا له من اعتراف حسن ترتب عليه نتائج مباركة "إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الموات خلصت" هذه هي كلمات التأكيد لنا والبركة الغنية دائماً التي تأتي من الاعتراف البسيط الحقيقي بالمسيح.

لاحظ ما يقوله الرب لبطرس مباشرة عن هذا الاعتراف "طوبى لك يا سمعان بن يونا لأن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات" نجد في هذا النص أن الرب يعلن أن الشخص الذي يعرفه كابن الله الحي هو مطوّب من الآب، مما لاشك فيه أن بطرس تعلم الكثير عن الرب لأنه كان يتبع الرب بحياة مكرسه. تضحية ولكن الآب علم هذا الشخص الحق أن ابن الإنسان الذي يتبعه بطرس هو ابن الله الحي بالرغم من أن بطرس صياد السمك عامي غير متعلم من الجليل والآب وحده فقط يمكن أن يعلمَّك هذا الحق المبارك يا صديقي، لا دراسة جامعية أو تعليم بشري يعطي لك هذه المعرفة– معرفة الابن– ولكن الآب يحب أن يعلم النفس التي تبحث عن المسيح والأمجاد الأدبية لهذا الشخص المرفوض – الابن الأزلي– ابن الإنسان المتضع – مبارك اسمه– هو مخلص ألا تكفيه؟

هل تعترف أيها القارئ أنه ابن الإنسان الكامل وهو أيضاً ابن الله بالرغم من ولادته في الزمان إنه من الصالح حقاً إن كنت تعترف به هكذا لأنه مكتوب "من أعترف أن يسوع هو أبن الله فالله يثبت فيه وهو في الله" (١يو٤: ١٥).

لاحظ أن الاعتراف خاصة بشخصه وليس بعمله، يوجد الكثيرون الذين يعرفون شيئاً عن عمل المسيح ويقولون أنهم قريبين من الصليب ولكنهم حتى الآن ممتلئين شكوكاً ومخاوف؟

أعتقد أن سبب ذلك هو أنه ليس لديهم المفهوم الكاف والعميق لشخص المسيح وليس لدى نفوسهم الإحساس كامل بالمجد الإلهي لشخصه باعتباره أبن الله الحي وأيضاً باعتباره الإنسان الحقيقي القدوس الذي بلا خطية ومن ثم يقدر أن يكون ذبيحة عن الخطية.

وكما عبّر أحد الشعراء في سطور قائلاً: (يا لها من أمجاد رائعة تلمع في شخص يسوع وتشع من وجهه ومحبته أزلية وعذبة وهي إنسانية وإلهية معاً وأمجاده أيضاً ليس فقط كونه ابن الله ولكن أيضاً ابن الإنسان وهذا جزء لا يتجزأ من أمجاده كما أن أمجاده الإلهية والإنسانية تتحد معاً في شخص واحد حيث تكوَّن منبع الحب في قلبه).

إن مجده الشخصي الذي لا ينقص هو ضمان الإيمان بلاهوت الرب يسوع رغماً عن إخلاء نفسه ظاهراً في صورة إنسان ولكن أيضاً يظهر لاهوته وحقيقة كونه بن الله الحي فيبرهن بالقيامة من الأموات،فحياة الله لا يمكن أن تتوقف وابن الله الحي لا يمكن أن يهزمه الموت ولكنه أباد الموت بالموت، وباعتباره المقام من الأموات بدأ عملاً آخر يتكلم عنه بعد ذلك وهو بناء الكنيسة.

وبعد قول الرب أن الآب أعلن لبطرس هذا الحق يواصل الرب كلامه قائلاً "وأنا أيضاً أقول" لم يقل الآب وأنا أقول أيضاً" فالآب قد تكلم والآن المسيح نفسه يتكلم إلى بطرس قائلاً «وأنا أيضاً أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» ماذا يقصد الرب بهذا؟ أنه يؤكد لبطرس عن اسمه الجديد أنه صخر ولكن أين بعد هذا الحجر؟ على الصخر "على هذه الصخر ابني كنيستي".

لقد حاولت روما أن تجعل من بطرس الصخرة ولو كان الأمر كذلك لكان بطرس صخرة ضعيفة جداً جداً مثلي ومثلك، فلم يكن بطرس هو الصخر. ولكن بطرس هو حجر والمسيح هو الصخرة، المسيح الذي يقول عنه بطرس في هذا الاعتراف أنه أبن الله الحي.

لقد فهم بطرس كلمة "الحي" ولقد كررها في رسائله حيث نقرأ «لرجاء حي» (١بط١: ٣) «حجراً حياً» (١بط٢: ٤) «حجارة حية» (١بط٢: ٥) أنه شيء عظيم في وسط هذا العالم الميت أننا نتقدم إلى دائرة حقائق حية، لاحظ هذا أن الرب يقول لبطرس "على هذه الصخرة ابني كنيستي".

لم يقل أن البناء بدأ بالفعل، ربما تقول لي أن الكنيسة بدأت من هنا بل ولكن ليس الأمر كذلك. هناك بلا شك قديسي الله من هابيل فصاعداً لكن يبقى السؤال متى بدأت الكنيسة التي هي جسد المسيح؟

يتكلم الرب هنا عن أن الكنيسة لا تبنى إلا على شخص كالصخرة، شخص هو الأساس ولابد أن يذهب إلى الموت أولاً وبعد الموت يقوم من الأموات ويذهب إلى المجد ويجلس عن يمين

الله ويرسل الروح القدس الذي يتحد المؤمنين حيث يكون جسد المسيح والمسيح نفسه هو الرأس الحي في الأعالي، ولاحظ أيضاً أن بطرس لا يبني الكنيسة بل الرب الذي قال: «أبني كنيستي» ولم يقل الرب" بنيت كنيستي" فكنيسة المسيح بدأت كتكوين في يوم الخمسين عندما نزل الروح القدس ومن هذا اليوم إلى اللحظة التي سيأتي فيها الرب في الهواء ليجمع المؤمنين فالكنيسة مستمرة في التكوين (١تس٤: ١٥-١٨) .

فالكنيسة هي فكر الله من الأزل ولكن الحق الخاص بذلك لم يعلن بالتمام حتى جاءت خدمة الرسول بولس. ولكن أول إشارة عن الكنيسة نجدها في هذا النص حيث يعلنها الرب بشفتيه لبطرس خادمه المحبوب.

ويذهب الرب إلى أكثر من ذلك في الإعلان لبطرس قائلاً له "وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات" كيف يتسلم بطرس هذه المفاتيح؟ بواسطة نعمة المسيح المطلقة وبهذا المعني فهو إناء مختار مع أننا لا نتجاهل شخصيته كإنسان ولكن السؤال هنا هو هل تعتقد يا صديق أن بطرس امتلك مفاتيح السموات[٢](بمعني دخول أشخاص ومنع آخرين)؟ إن الله يمنع ذلك وأن بطرس لم يملك أن يتصرف بهذه المفاتيح أكثر مما نملك نحن، إنها مفاتيح ملكوت السموات، إن الملكوت يرتبط بالأرض بينما الكنيسة ترتبط بالسماء، وملكوت السموات هي برهان أمور الرب هنا على الأرض حيث يكون هو الملك ولم يتم هذا على الأرض حتى الآن لأنه الآن في السماء.

إن في كل الصور العظمى التي رسمها الناس نرى بطرس معلقاً المفاتيح في منطقته وترى الخراف مجتمعة حوله ولكن الناس لا يطعمون الخراف بالمفاتيح ولا يبنون بها حيث أن استخدام المفاتيح لفتح الباب ولا يمكن أن يستخدم المفتاح في أكثر من هذا الغرض، وكان الرب نفسه مزمعاً أن يذهب إلى السماء ولكن أيضاً كان لابد أن يتم العمل هنا على الأرض ومن خلال خدمة بطرس (ملكوت السموات) يوجد فقط في إنجيل متى واعتقد أن بطرس استخدم أحدى هذه المفاتيح عندما تحدث لليهود في الاصحاح الثاني من سفر الأعمال واستعمل بطرس مفتاحاً آخر عندما ذهب إلى بيت كرنيليوس في أعمال ١٠، قال بطرس في أعمال٢ "توبوا" وكان عليهم أن يحكموا على أنفسهم لأنهم صلبوا المسيا ولكن عندما ذهب بطرس إلى الأمم كان الباب مغلقاً عليهم وكانوا ممنوعين عن

---

[٢]- المفتاح هنا مميز ويعطي لبطرس من قبل المسيح والمقولة: كيف فتح الرسول بطرس بالمفتاح لدخول اليهود إلى الكيانن الجديد المعني هنا (الكنيسة) وذلك في أعمال ٢ ثم الأمم أعمال ١٠ فأقصى الأرض بعد ذلك وهو ما سيذكره الكاتب لاحقاً.

البركة فاستخدم معهم مفتاحاً آخر حينما قال لهم "آمنوا" لأنه كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا".

يقول الرب أيضاً لبطرس "كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء" إن المسألة هنا مسألة الخدمة على الأرض والخدمة في الكنيسة وليست المسألة هي ذهاب الإنسان للسماء، لقد حصل بطرس على مكانة متميزة في خدمة على الأرض أن يخدم في كنيسة المسيح كما فعل بعده الآخرين (يو٢٠: ٢٣) فإذا أردت أن تذهب إلى السماء فعليك أن تذهب إلى مخلص بطرس وهو سيخلصك كما فعل هو مع بطرس وإذا أردت أن تنضم إلى كنيسة المسيح على الأرض فيجب عليك أن تحترس بالسير بالتدقيق وإلا فستسقط في أمور تهين الرب وتقع تحت ممارسة السلطان المعطى للكنيسة في ربط الخطية عليك وعزلك من وسط الكنيسة أنظر (١كو٥: ١٣) «أعزلوا الخبيث من بينكم».

ابتداء من هذه اللحظة يغير الرب طبيعة الشهادة عنه، وأمر تلاميذه أن لا يخبروا أحداً أن يسوع هو المسيا حيث منعهم أن يتكلموا عنه كالمسيا لماذا؟ لقد عرف المسيح أن الأمة سوف لا تؤمن به لذلك لم يحب أن يعطي نوراً أكثر حيث يرفض لأنه كلما زاد النور ازدادت الدينونة أيضاً ثم نقرأ بعد ذلك "من هذا الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة وأن يموت ويقوم في اليوم الثالث".

إنه فكر بعيد جداً عن فكر أخذ المملكة فهو يعلن بوضوح أنه سوف يموت ولم يستطع بطرس أن يفهم ذلك وابتدأ ينتهر الرب قائلاً "حاشا لك يا رب أن يكون لك هذا" لم يستطع أن يفهم بطرس أنه لابد للرب أن يموت، فكيف للشخص الذي استطاع أن يشفي المرض ويطهر البرص ويفتح عيون العمى وآذان الصم وجعل الخرس يتكلمون واستطاع أن يهدئ العواصف وأقام الموتى، فلم يستطع بطرس أن يفهم أن شخصاً كهذا يجب أن يموت لذلك قال له "حاشا لك يا رب".

يا له من تعليم عظيم في إجابة الرب عندما قال «أذهب عني يا شيطان أنت معثرة ليّ».

قبل ذلك بلحظة قال الرب «طوبى لك يا سمعان بن يونا» ولكن الآن يعامل الرب تلميذه المفضل قائلاً "يا شيطان" ذلك لأن الرب رأى ما هو وراء كلمات هذا التلميذ–تجربة الشيطان نفسه– نعم إن العدو يستخدم بطرس كإثارة، إن الشيطان يستطيع أحياناً أن يستخدم خادماً لله لكي يتمم قصده وعمله، إن الرب رأى صاحب هذا الاقتراح وقال له «أذهب عني يا شيطان».

فإن كنا نريد أن نتبع المسيح يجب أن نقبل طريق العار هنا وإن كنا نرفض الصليب فسوف لا نملك الإكليل وإن كنا نرفض أن نتبع الرب المرفوض هنا سوف لا نستمتع بفرح الشركة معه لذلك يقول الرب: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» إنها كلمات موجهة لبطرس ولنا أيضاً، وبعد ذلك يقول الرب «فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه» (مت١٦: ٢٥، ٢٦).

يا صديقي ماذا تربح إن كنت تخسر نفسك؟ فكر فقط في سواد اليأس الذي يمسك النفس عندما تخسر كل شيء إن الأشياء التي بعت نفسك من أجلها سوف تتركها كلها وتخسر نفسك أيضاً، أيها القارئ أنت تقع بخطأ باهظ في متعة الخطية التي تستمر لفترة مؤقتة، أنت تساير العالم والجسد والشيطان وتنكر السماء والمجد والفرح الأبدي والشركة مع المسيح، وأما المؤمن فماذا يفعل؟ إنه ينكر نفسه ويرفض التمتع الوقتي بالخطية، وبعد هذا التساؤل يعلن الرب عن البركة المستقبلية لأولئك الذين هم له «فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ.» (مت١٦: ٢٧) ثم يضيف الرب قائلاً: «مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا فِي مَلَكُوتِهِ». و معنى هذه الكلمات سوف نجدها في الفصل القادم.

"يتبع"

في الخدمة بقلم:

فايز فؤاد

أبطال المحبة

الكرام والمكارم....الفضائل والأفاضل

الأسماء الواردة في كولوسي ٤: ٧-١٨

ودلالاتها الروحية

(٢) أنِسِيمُس ... النافع (١)

«أنِسِيمُسَ الأَخِ الأَمِينِ الْحَبِيبِ الَّذِي هُوَ مِنْكُمْ» (كو٤: ٩)

كان "أنِسِيمُسُ" عبدًا لفِلِيمُون المواطن الثري في كولوسي (فل١٦)، والعضو المُتقدّم في الكنيسة هناك. وكان غير مؤمنًا عندما أجرم في حق سَيِّده المسيحي (ربما سلب أموال سيده وهرب من كولوسي)، واتخذ طريقه إلي روما التي كانت تُمثل "الكورة البعيدة" حيث كان يتجمع الضَّالون الأشرار.

ولكن إذا كان "أنِسِيمُسُ" قد هرب من سَيِّده الأرضي، لكنه لم يستطع الهروب من سَيِّده السَّماوي ومن نعمته التي كانت تلاحقه وتبحث عنه. ففي روما اتصل ببولس الرسول حيث «أَقَامَ بُولُسُ سَنَتَينِ كَامِلَتَينِ فِي بَيْتٍ اسْتَأْجَرَهُ لِنَفْسِهِ. وَكَانَ يَقْبَلُ جَمِيعَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ إِلَيْهِ، كَارِزًا بِمَلَكُوتِ اللهِ، وَمُعَلِّمًا بِأَمْرِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ، بِلاَ مَانِعٍ» (أع٢٨: ٣٠، ٣١).

ولا نعلم ما الذي جعل "العبد الهارب" يتصل ببولس الرسول؟! لعله أضاع ما بيده من نقود، واحتاج وجاع، أو لعلها وخزات الضمير. لعله لم يستطع أن ينسي بيت سَيِّده في كولوسي، الذي كان مكانًا لاجتماع أولاد الله، وهذا ما يُشير إليه الرسول في قوله لفِلِيمُون: «إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِكَ» (فل٢). لعله لم يستطع أن ينسَ كيف تحدث فِلِيمُون عن بولس عدة مرات، فقد كان فِلِيمُونُ مدينًا بتجديده لكرازة بولس – والآن ها هو أنسيمس في روما، فيا له من ترتيب عجيب أن يكون بولس في روما أيضًا!

وكان من نتيجة تقابلهما، أن قَبِلَ أُنِسِيمُسُ المسيح بواسطة كرازة الرسول بولس أيضًا، فيقول عنه: «ابْنِي أُنِسِيمُسَ، الَّذِي وَلَدْتُهُ فِي قُيُودِي» (فل١٠). ولم يُقدِّم له الرسول بولس رسالة الإنجيل فحسب، بل قدَّم له الحب والعطف والحنان والأمان! لقد دعاه ابنًا! وسمع "أنِسِيمُسُ" الرسول وهو

يناديه: ابْنِي أُنِسِيمُسَ! وفتحت المحبة قلب أُنِسِيمُسَ لا إلى بولس فحسب، بل إلى رب بولس؛ إلى الرب يسوع نفسه، وإلى النعمة التي تُجدّد، والتي تُسدّد، والتي تُنقّعْ، والتي تُرقّعْ.

وأصبحت خدمات "أُنِسِيمُس" نافعة جدًا لبولس الذي أراد أن يحتفظ به معه، ولكن حيث لم يكن في إمكانه أن يفعل ذلك بدون موافقة فِلِيمُون، أرسله إلي كولوسي، إلي سيده هناك.

وفي ذلك الوقت، كتب الرسول بولس إلي الكنيسة في كولوسي عن عدة أمور، وعهد بالرسالة إلي كولوسي لكل من تِيخِيكُس وأُنِسِيمُس، ويوصي الرسول بأُنِسِيمُس عند الإخوة في كولوسي قائلاً: ««أنِسِيمُسَ الأَخِ الأَمِينِ الْحَبِيبِ الَّذِي هُوَ مِنْكُمْ» (كو٤: ٩) ويردف قائلاً :إن تِيخِيكُس وأنِسِيمُس «هُمَا سَيُعَرِّفَانِكُمْ بِكُلِّ مَا هَهُنَا»؛ أي سيعرفانهم بجميع الأمور التي حدثت لبولس في روما، ومثل هذه التوصية – ولا شك – قد سهلت بدرجة كبيرة عودة انسيمس إلي كولوسي.

ولكن بولس فعل ما هو أكثر من ذلك ، إذ زوَّد أنِسِيمُس بخطاب كتبه بنفسه إلي فِلِيمُون، وحيث أن أنِسِيمُس كان عائدًا إلي مدينة اشتهر فيها بأنه لم يكن مسيحيًا ولا أمينًا، احتاج إلي من يشهد بحقيقة التغيير الذي حدث في حياته، وهو ما فعله الرسول بولس في رسالتيه إلي كولوسي وإلي فليمون.

لقد قدم الرسول بولس أنِسِيمُس بكياسة رائعة إذ يقول: «فَاقْبَلْهُ، الَّذِي هُوَ أَحْشَائِي» (فل١٢)؛ فالرجل الذي قد عرفه أهل كولوسي – حتي ذلك اليوم – علي أنه عبد حقير هارب، يُقدَّم لهم الآن، لا كعبد فيما بعد بل كأخ، فهو لم يعد خائنًا غادرًا بل موضع ثقة، لم يعد هدفًا للاحتقار، بل غرضًا للحب. وبناء علي ذلك، يرجو الرسول فِلِيمُون أن يستقبل أنِسِيمُس بنفس الفرح الذي كان سيستقبله هو نفسه به «فَإِنْ كُنْتَ تَحْسِبُنِي شَرِيكًا، فَاقْبَلْهُ نَظِيرِي» (فل١٧).

ولم يُعطي الإيمان المسيحي لأنِسِيمُس الحرية والمساواة، والإخاء والحب، بل أعطاه إلى جانبها الصلاح والنفع، إذ عاد أنِسِيمُسُ إلى معنى اسمه الذي أفقده إياه الشر والإثم، إذ أصبح نافعًا. لقد كان ماضي أنِسِيمُس مناقضًا لمعني اسمه، لم يكن نافعًا بأي شكل، ولكنه الآن بسلوكه المستقيم في روما وخدمته الصادقة لبولس هناك، قد تغيَّر تمامًا، أصبح نافعًا لبولس، وسيكون– بلا شك – نافعًا لفِلِيمُون أيضًا «الَّذِي كَانَ قَبْلاً غَيْرَ نَافِعٍ لَكَ، وَلَكِنَّهُ الآنَ نَافِعٌ لَكَ وَلِي» (فل١١).

من الواضح أن أنِسِيمُس قد سرق سيده قبل مغادرته كولوسي، ولهذا يكتب الرسول بأنه إن كان قد ظلمه بشيء، فقد أصبح بولس ضامنًا له، ويُمكن لفِلِيمُون أن يعتبر رسالة بولس صك ضمان، إذ

يقول: «ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ ظَلَمَكَ بِشَيْءٍ، أَوْ لَكَ عَلَيْهِ دَيْنٌ، فَاحْسِبْ ذَلِكَ عَلَيَّ. أَنَا بُولُسَ كَتَبْتُ بِيَدِي: أَنَا أُوفِي» (فل١٨، ١٩).

لو لم يكن فِلِيمُون مسيحيًا، ولو لم يكتب بولس هذه الرسالة الرائعة، لكان علي أنِسِيمُس أن يخشي العودة، فقد كان العبيد – في الإمبراطورية الرومانية – يُصلَّبون بسبب أخطاء أتفه من تلك التي ارتكبها أنِسِيمُس. فاللص والعبد الهارب لم يكن ينتظرهما سوي التعذيب حتي الموت. ولكن الآن وقد أصبح تحت سيادة المسيح، فقد تغيَّر كل شيء، فالسَيِّد الذي سُلبَ، يدين بالولاء للمسيح، والخطاب المُرسَل إليه مع عبده، كتبه له «بُولُسُ، أَسِيرُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (فل١)، كما أن العبد قد أصبح الآن أخًا محبوبًا في المسبيح، يُحبه بولس، وبالتأكيد سيُحبه فِلِيمُون أيضًا. ثم يصرح بولس بأنه يأمل أن يطلق سراحه سريعًا، وعندئذٍ سيذهب لزيارتهم في كولوسي، فهل سيستقبله فِلِيمُون في بيته ضيفًا عليه؟ (فل٢٢).

ولا يمكن تصوّر أن التماس الرسول بولس هذا من جهة أنِسِيمُس كان عبثًا، فلا بد أن فِلِيمُون سيفعل أكثر مما طلب منه الرسول بولس، وعند زيارة بولس لكولوسي، سيجد ترحيبًا قلبيًا من كل من فِلِيمُون وأنِسِيمُس.

تأملات هادئة

أنيس متى بهنام

«اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: افْرَحُوا.»

هل قال الرسول «أفرحوا في كل الطريق؟» وربما أجاب البعض "أنه مستحيل" فلم يخبرنا الكتاب أن نفرح حين ينتقل عزيز لدينا ليكون مع المسيح بل يكلمنا ألا نحزن كالباقين الذين لا رجاء لهم. وحينما أصيب ابفرودتس بمرض خطير فإن الرسول اعتبر شفاءه أنه رحمة من رب وإلا فإنه كان يضيف حزناً فوق حزنه (في ٢: ٢٥-٢٨).

وبالرغم من كل الظروف فالمؤمن الذي يمتلك الفرح وسط هذه كلها؛ فإنه يفرح بكل تأكيد؛ فهذا حيطه من كل جانب وبعداً عن التقلبات الكثيرة لأن هذا الفرح هو فرح الرب الذي هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد؛ الذي لا يتغير. ونحن نستطيع أن نفرح حينما نعمل عمل الرب إلا أننا أحياناً نختبر ويصيبنا الإحباط أحياناً. بعضنا يختبر الفرح في تنشئة أولادنا وفي نفس الوقت قد نحزن لأننا نلحظ فيهم الأخطاء التي نعانيها والتي كنا نأمل ألا تصيبهم بيد أننا في وسط هذا لنا الفرح الذي يشير إليه الرسول بالقول« وأقول أيضاً أفرحوا» إنه الفرح الذي في أنه إلهنا ونفرح بصلاحه ورقته وحكمته وقوته ونعمته ومحبته.

وكم هي جميلة كلمات حبقوق إذ قال «فَمَعَ أَنَّهُ لاَ يُزْهِرُ التِّينُ، وَلاَ يَكُونُ حَمْلٌ فِي الْكُرُومِ. يَكْذِبُ عَمَلُ الزَّيْتُونَةِ، وَالْحُقُولُ لاَ تَصْنَعُ طَعَامًا. يَنْقَطِعُ الْغَنَمُ مِنَ الْحَظِيرَةِ، وَلاَ بَقَرَ فِي الْمَذَاوِدِ، فَإِنِّي أَبْتَهِجُ بِالرَّبِّ وَأَفْرَحُ بِإِلهِ خَلاَصِي.» (حبقوق ٣: ١٧، ١٨).

اللاوي الصغير

(١ صم ٢ و٣)

لا يسع دارس الكتاب المقدس، في كل العصور، إلا أن يقف طويلاً متأملاً بدقة في الإصحاحات الأولى من سفر صموئيل الأول، مشدوهًا إذ ينظر إلى هذا الصبي الصغير «المتمنطق بأفود من كتان» ذي الجبة الصغيرة التي كانت تحضرها له أمه «من سنة إلى سنة عند صعودها مع رجلها إلى الذبيحة السنوية».

لابد أن أمه كانت تتطلع بلهفة إلى تلك الزيارة السنوية، التي كانت لا تشبع أشواقها الطبيعية نظرًا لقصرها. ولاشك في أنه كان عسيرًا عليها أن تتركه وهو في هذه السن الغضة، في الثالثة من عمره، لكنها كانت تتعزى في حرمانه منه، كانت فيما بعد تستعيد في ذاكرتها تلك السنوات الحلوة الأولى، إذ كان يملأ البيت بحركاته الطفولية، والتي فيها غرست هي في قلبه الغض بذار الرجولة. لقد ولدت أطفالاً آخرين، ثلاثة بنين وبنتين، وإذ كبروا بين يديها فلابد أن كانت تفكر في أخيهم باهتمام عظيم، وهو يقوم بخدمته المقدسة.

لقد كشف الرب للمرأة أخطاءها، وهو يقينًا مستعد أن يكشف أخطاء كل الذين إذ يُشتمون لا يشتمون عوضًا، إذ يتألمون لا يهددون، بل يسلمون لمن يقضي بعدل (١بط ٢: ٢٣). كانت تملأ قلب الأم أفكار هادئة، وقورة محبة، إذ كانت تعمل له الجبة الصغيرة. ولعلها كانت تشبه في شكلها القميص الذي ربما عملته العذراء المطوَّبة لابنها، والذي «كان بغير خياطة منسوجة كله من فوق»، والذي رفض العسكر أن يشقوه (يو ١٩: ٢٣).

١. تأثير الأم:

لا تزال الأمهات تعمل ثيابًا لأبنائهن. ليس فقط على النول، أو بالإبرة، بل بأخلاقهن السامية النبيلة، التي تظهر يومًا فيومًا أمام عيون أبنائهن الحادة النظر، السريعة التقليد، بكلماتهن وسيرتهن، وبعبادتهن اليومية.

إن ما يراه الأطفال يقلدونه، وبدون وعي منهم يلبسون الرقة أو الخشونة. احترام التدين أو عدم المبالاة به. دماثة الأخلاق أو خشونتها، حسبما يرونها كل يوم. وكما يتخذ السمك لون الأرض التي يرقد عليها، وكما يغير الزقزاق ريشه ليتمشى مع الشتاء أو الربيع، هكذا يرتدي الأطفال الثياب التي تنسجها لهم أمهاتهم؛ ثياب أخلاقهن وتصرفاتهن، وطباعهن وكلامهن.

«وكان الصبي يخدم الرب أمام عالي الكاهن»، وينام نومه البريء وهو لا يرى شيئًا عن الخطايا المحيطة به، وينال محبة عالي وتعلُّقه به، وذلك بميوله الطيبة، وطرق حياته المحببة، كما أعطى أدلة كثيرة على أنه يؤهل ليصير حلقة اتصال بين الله وشعبه، وسيطًا بين القديم والجديد، بين أيام شمشون المضطربة والسلام الرائع الذي ساد حكم سليمان.

٢. انتهاك حرمة المقادس وخطايا أبناء عالي:

«وكان بنو عالي بني بليعال. لم يعرفوا الرب. ولا حق الكهنة من الشعب» (ص ٢: ١٢). كان ناموس موسى يخول للكاهن الحق في أن يأخذ، كنصيب له، بدلاً من ماهية نقدية، كل ذبيحة الخطية، والصدر والساق اليمنى من ذبيحة السلامة، ولا يحرق على المذبح من هذه الذبيحة الأخيرة إلا الشحم، أما باقي الذبيحة فيسلَّم إلى مقدِّمها لكي يأكل هو وأبناؤه وبناته وعبيده وإماؤه، واللاوي الذي في أبوابه (تث ١٢: ١٢). كان يليق، كما يقول الرسول بولس، «أن الذين يعملون في الأشياء المقدسة يأكلون من الهيكل، الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح» (١كو ٩: ١٣).

كان أول عمل يجري في ذبيحة السلامة هو رش الدم «على المذبح مستديرًا»، بعد ذلك يحرق الشحم الداخلي. لم يكن مصرحًا بأكله قط، بل كان دائمًا يُحرَق بالنار. كان بمثابة طعام للنار، كأنه طعام لله. وكأن الله يأكله مع مقدِّم الذبيحة (لا ٣: ١٦ و١٧). بعد أن يتم كل هذا،

كان نصيب الكهنة يُرَدد ويقدَّم لله، وكان العابدون يفسحون الطريق لغيرهم، حاملين معهم نصيبهم لأفراح العيد.

هنا نرى أبناء عالي يقبلون بمنتهى الشراهة. وإذ كانوا لا يكتفون بنصيبهم الشرعي، كانوا يرسلون خادمهم، ومعه «منشال ذو ثلاثة أسنان» بعد أن يذهب الشعب ليستريحوا، وإذ كان اللحم يسلق للوليمة المقدسة، كان الخادم يضرب المنشال في المرجل، «وكل ما يصعد به المنشل يأخذه» للكاهن كأجر إضافي. «هكذا كانوا يفعلون بجميع إسرائيل الآتين إلى هناك في شيلوه».

لكن حتى هذا لم يكفهم، فإنهم، بعد أخذ الصدر والساق اليمنى، وقبل وضع الباقي في المرجل ليسلق، كانوا يصرُّون على أن يأخذوا لحمًا نيئًا من نصيب مقدِّم الذبيحة. كذلك كانوا لا يحرقون الشحم، وهو أهم جزء في كل الذبيحة، وكان مقدِّم الذبيحة يجب أن ينتظر حتى تُوفَّى كل مطالبهم. ويبدو أن هذا التصرُّف الأخير أغاظ الشعب جدًا حتى نفد صبرهم، فكانوا يقولون: انتظر على الأقل حتى يقدم نصيب الرب قبل عمليات السلب الشائنة التي ترتكبونها، «ليحرقوا أولاً الشحم، ثم خذ ما تشتهيه نفسك» أما الكاهن فكان يجيب بقسوة «لا بل الآن تعطي وإلا فآخذ غصبًا»، «فكانت خطية الغلمان عظيمة جدًا أمام الرب، لأن الناس استهانوا [1]تقدمة الرب».

خليق بنا أن نساءل أنفسنا، جديًا وبفحص دقيق، عمَّا إذا كنا نحن – كخدام المسيح – نعمل أن نشجع أعمالاً تجعل الناس يستهينون بالاسم المقدَّس الذي دُعي علينا. لنبدأ أولاً بأخلاقنا وعاداتنا، وبعد ذلك نتقدَّم إلى تعاليمنا وخدمة الرب.

لقد سمعت عن أناس – خطأ أم صواب – أنهم ينكرون المسيحية، التي كانوا متعلقين بها يومًا ما، لأنهم رأوا بعض المسيحيين يماطلون في دفع ديونهم، ويراوغون في أعذارهم، ويسرفون في وعودهم التي لا يتممونها، ويصعب جدًا إرضاؤهم، ويعاملون خدمهم ومرؤوسيهم بروح غير مسيحية، سريعي الغضب، يتصرفون في أعمالهم الخاصة بطريقة يأباها أهل العالم.

[1] «كرهوا» حسب الترجمة الإنجليزية، «ازدروا» حسب الترجمة اليسوعية

وسمعت عن أشخاص – خطأ أو صواب – يرفضون دخول دور العبادة بسبب تشبثها بالتمييز العنصري، وبسبب نظرتها بكراهية شديدة لأي غريب يدخل صفوفها.

من أجل هذا يعلل الكثيرون رفضهم للإنجيل، وامتناعهم عن دور العبادة.

لم يكتفِ حفني وفنحاس بطمعهما الجشع، بل كانا يرتكبان أقذر أنواع العبادة الوثنية وسط غابات وكروم شيلوه. كانت الطقوس الشهوانية الدنسة تمارس في هذه الأعياد الوثنية منذ القِدَم، لكنها لم تدنس الكهنة، نسل هارون، بهذه الكيفية قط. فقد تسفَّل هذان الشابان جدًا حتى أنهما – مع أنهما كانا متزوجين – لم يترددا عن إفساد النساء اللاتي يقمن في المقدس بتلك الخدمات التي تتطلب عملاً يليق بالنساء.

قدمت لعالي احتجاجات كثيرة (ص٢: ٢٣). لكنه بدلاً من إعلان الغضب الشديد، والتهديد العنيف، اكتفى بهذا التوبيخ اللطيف «فقال لهم لماذا تعملون مثل هذه الأمور. لأني أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب. لا يابنيَّ ليس حسنًا الخبر الذي أسمع. تجعلون شعب الرب يتعدون».

وقد علَّق الرب الديان على هذا بقوله «وقد أخبرته بأني أقضي على بيته إلى الأبد من أجل الشر الذي يعلم أن بنيه قد أوجبوا به اللعنة على أنفسهم ولم يردعهم». لقد وبخهم، لكنه لم يصدهم. وحتى إن كانوا قد استهانوا بتوبيخ أبيهم، فإنهم لم يكونوا يقدرون أن يتحدوا عزله لهم إذا ما أصر على هذا كرئيس للكهنة، مستخدمًا أقصى سلطاته. ومن أجل هذا التهاون الضعيف حُكِم عليه بإنهاء حكمه. «لذلك يقول الرب إله إسرائيل. أني قلت أن بيتك وبيت أبيك يسيرون أمامي إلى الأبد. والآن يقول الرب حاشا لي. فإني أكرم الذين يكرمونني والذين يحتقرونني يصغرون».

٣. الحاجة إلى التدريب العائلي:

هذا يوحي بعمل بحث دقيق جدًا من جهة الذين يحتلون مراكز بارزة في الكنيسة وأمام العالم، لكنهم يهملون واجباتهم العائلية. نحن مسئولون عن أولادنا. وضعفنا في أن نردعهم يعتبر خطية، الأمر الذي ينتج عنه حتمًا ليس فقط قصاصهم، بل قصاصنا نحن أيضًا.

خير لك أن تقدم خدمات أقل للكنيسة وللعالم، من أن تترك أولادك ليكونوا شقاء لأنفسهم، وعارًا لك. تذكر أن المؤهل الوحيد لأي مركز في الكنيسة الأولى كان هو إدارة البيت والأولاد إدارة حكيمة سليمة. «إن كان أحد لا يعرف كيف يكون له أولاد في الخضوع بكل وقار، ويدبر بيته حسنًا، فكيف يعتني بكنيسة الله» (١تي ٣: ٤ و١٢).

لعل عالي لم يبدأ بتربية أولاده منذ حداثته. الأب الحكيم يبدأ في تربية أولاده، لا من السنوات الأولى، بل من الشهور الأولى. والتشديد المبكر في الرعاية والتأديب يبدو هينًا عندما نتذكر أن الولد عندما يُربّي في طريق الله منذ حداثته لا يحيد عنه متى شاخ (أم ٢٢: ٦).

وفوق كل شيء ينبغي أن نسعى لتجديد حياة أولادنا وتكريسهم لله. لقد أكد الرسول بأن الله مستعد أن يعطينا حياة «من أجل الذين يخطئون ليس للموت» (١يو ٥: ١٦)، وهذا الوصف ينطبق بصفة خاصة على الأولاد الصغار. لاشك في أنه ليس بظالم لينسى دموع وصلوات الذين يتمخضون ثانية إلى أن يتصور المسيح في قلوب نسلهم (غل ٤: ١٩)، أو يتغاضى عن إيمانهم.

كابن لوالدين تقيين لا يقدران تحديد ساعة تجديدي، محبة الله تسللت إلى قلبي في أيام حداثتي الأولى، كتسلل نور الفجر في جو صاف، أؤكد صدق كلمة الله القائلة «روحي الذي عليك وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمي ولا من نسلك قال الرب من الآن وإلى الأبد» (إش ٥٩: ٢١؛ يو ٥: ١٦).

ررؤيا الله

(١ صم ٣)

كم هو مؤثر جدًا أن نلاحظ الإشارات المحتلفة عن الطفل صموئيل تسرد بالتتابع في هذا الأصحاح (١ صم٣)، سيما تلك التي قصد بها أن تبين الفرق بين براءته الرقيقة ونجاسة أولاد عالي الشنيعة، وهذا يشبه الفرق بين صوت الأجراس الرخيم وصوت عاصفة هوجاء.

قالت حنة «متى فطم الصبي آتي به ليتراءى أمام الرب ويقيم هناك إلى الأبد»، «وأتت به إلى الرب في شيلوه والصبي الصغير»، وأنا «أيضًا قد أعرته. جميع أيام حياته هو عارية للرب. وسجد هناك للرب» (١ صم ٢: ٢٢ و٢٤ و٢٧).

«وكان الصبي يخدم الرب أمام عالي الكاهن ... وكان بنو عالي بني بليعال. ولم يعرفوا الرب»، «وكان صموئيل يخدم أمام الرب وهو صبي» (١صم ٢: ١١ و١٢ و١٨).

«وشاخ عالي جدًا وسمع بكل ما عمله بنوه .. وأما الصبي صموئيل فنزايد نموًا وصلاحًا لدى الرب والناس أيضًا» (ص ٢: ٢٢ و٢٦).

«فقال الرب لصموئيل هوذا أنا فاعل أمرًا في إسرائيل كل من يسمع به تطن أذناه .. وكبر صموئيل وكان الرب معه ولم يدع شيئًا من جميع كلامه يسقط إلى الأرض» (ص ٣: ١١ و١٩).

كانت حياته سلسلة متصلة من الحلقات من البراءة والطهارة والنزاهة والبر والاستقامة. كان هنالك هدف واحد نصب عينيه كل أيام حياته، دون استثناء يوم واحد. لم ينزلق يومًا ما نحو الشهوات العالمية، أو محبة الذات، أو التصرفات الشائنة التي كانت سائدة في ذلك العصر الدنس. في أواخر أيام حياته استطاع أن يلجأ إلى حكم الشعب بكلمات خالدة تشهد إلى ثقته باستقامتها التي لا تشوبها أية شائبة. كانت حياته جميلة، قوية في موهبة إدارة دفة الأمور، حكيمة في توجيه الأمة من حكم القضاة إلى حكم الملوك، عادلة عدلاً كاملاً، طاهرة بلا لوم. كان يسمو فوق أقرانه كقمة جبل من الياقوت الأصفر تتلألأ عليه أشعة الشمس، بينما يغمر الأودية التي تحته سحب قاتم.

لم يكن صموئيل نبيًا بمعنى التنبؤ بالمستقبل البعيد، ولم تتوفر فيه مَلَكة الذكاء والفصاحة التي كان يتحلى بها إشعياء، بل كان كل ما قدمه لشعبه صفات القداسة، وبهذه القداسة وسمو الأخلاق استطاع أن يوقف تيار خراب الشعب.

نحن أيضًا قد نُدعى لمواجهة عصر من التغيير. قد يُكتَب لأعيننا أن ترى زوال القديم ومجيء الجديد. في أيامنا أيضًا قد يزلزل الرب لا الأرض فقط، بل السماء، لكي تبقى التي لا تتزعزع (عب ١٢: ٢٦ و٢٧). في أيامنا قد ينقل الرب التخم القديم، مهما كان مألوفًا ومقدَّسًا، كما حدث لخيمة الاجتماع التي في شيلوه وتابوت العهد لإسرائيل.

لكن هنالك صفة واحدة في متناول أيدينا، ينبغي أن لا تزول، بل تبقى غير ملوثة طول السنين، هي الأخلاق التي بلا لوم، النفس المرتدية ثوبًا غير مدنس، الحياة المقدَّسة التي تتم فيها هذه العبارة: «ليظهر فعلك لعبيدك وجلالك لبنيهم. ولتكن نعمة الرب إلهنا علينا وعمل أيدينا ثبِّت علينا، وعمل أيدينا ثبِّته» (مز ٩٠: ١٦ و١٧).

إن أعظم هدية يمكننا تقديمها لبلادنا أو لجيلنا هي الصفات النبيلة السامية، والحياة التي بلا لوم. علينا أن نحيا الحياة الفاضلة في قوة الروح القدس، ولنبرهن على أن إله يوم الخمسين لا يزال حيًا.

١. تغيير صبي صغير:

كان هنالك تغيير عظيم لازم لصموئيل قريب الوقوع. إلى تلك اللحظة كان يعيش بقوة دفع حياة أمه التقية. كان لازمًا له أن يتعمق في الاختبارات الروحية. كان يجب أن يعتمد إيمانه لا على شهادة الآخرين، بل على اختباراته هو. كان يجب أن يتأكد أنه هو بنفسه قد رأى وتذوق ولمس كلمة الحياة. كان يجب أن تأتي كلمة الحياة إليه هو مباشرة، لا عن طريق أي شخص آخر، وأن ينقلها لكل إسرائيل.

قد يأتي هذا التغيير لكل مَنْ يطلب ويرغب في الحياة العميقة الغنية. ربما تكون ابنًا لوالدين تقيين، وقد تربيت منذ الحداثة تربية دينية، وكان منتظرًا أنك تصلي وتخدم الله، وكنت تسير بقوة

الدفع المباركة. لكن هب أن قوة الدفع هذه تخلّت عنك لحظة، فهل فكرت في أن تدرك المسيح كحقيقة حية لنفسك؟

ربما يحطم الله – رحمة بك – تلك الأشياء التي كنت تعتمد عليها لكي تدرك بنفسك، ولنفسك، الأشياء الأبدية الإلهية، كأنها قد قصدت لك وحدك إن تلك الساعة مباركة في تاريخ النفس عندما تزول الأشياء القديمة التي صارت مألوفة بطول الاستعمال، وتحل محلها رؤيا الله الواضحة. عندئذٍ تستطيع أن تقول مع أيوب «بسمع الأذن قد سمعت عنك. والآن رأتك عيني» (أي ٤٢: ٥)، وتقول مع الرسول «أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض» (في ٣: ١٣ و١٤).

أتريد أن تؤمن بأن الله قد يكون آتيًا قريبًا منك جدًا، ويوشك أن يعلن نفسه لك في الرب يسوع، بكيفية لا يعلنها للعالم؟ هو مزمع أن يغير حياتك، يرفعها إلى مستوى جديد، حتى إذا ما اضطررت لمواجهة الظروف القديمة تطلعت إليها من مستوى أعلى، كما يتطلع السلم الحلزوني دائمًا إلى نفس المنظر مهما صعدنا عليه درجات أعلى.

٢. رؤيا الصبي الصغير

١ – عندما اقترب الله من خادمه الصغير كان ذلك بمثابة شهادة لأمانته. إلى ذلك الوقت لم تُطلب منه سوى خدمات بسيطة: أن يغلق ويفتح أبواب خيمة الاجتماع، وأن يوقد المنارة، ذات السبع شعب، في الغروب، ويملأها بزيت زيتون نقي كل صباح. أن يقوم بخدمات بسيطة للكاهن الشيخ نهارًا أو ليلاً. كانت أمثال هذه الخدمات المعينة له، والتي أداها بمواظبة وبكل حرص. كان خليقًا بمَنْ وُجِدَ أمينًا في القليل أن تُعطى له دائرة أوسع وأهم.

٢– وقد أتت الرؤيا إذ كان الفجر يوشك أن يحل. «قبل أن ينطفئ سراج الله في هيكل الرب الذي فيه تابوت الله» (ع٣). استيقظ الصبي ثلاث مرات منزعجًا من نومه الطاهر على سريره في الغرفة التي أحبها بالقرب من المقدس. لقد سمع اسمه يُنادى بصوت ناعم رقيق محب، واعتقد أن

عالي يناديه، فأسرع إليه ثلاث مرات مجتازًا الدهليز المتوسط بينهما. في كل مرة كان يركض إلى عالي ويقول له «هائنذا لأنك دعوتني».

عندما يتقرب إلينا الله ليعلن ابنه فينا، نميل للإسراع إلى مكان ما، أو إلى مرشد روحي معتقدين في مقدرته على تفسير الرؤيا التي أعلنت إلينا.

٣- كان عالي حكيمًا جدًا في تصرفه مع الصبي. كان ممكنًا ان يتخذ موقفًا على أساس أنه هو المستودع الوحيد للأسرار الإلهية، أن يحذر الصبي من الإصغاء للأوهام الباطلة (حسب تفكيره)، أن يسمح لنفسه بأن تتحكم فيه عوامل الحسد والشك التي لا ضابط لها، أن يتمسَّك بشرف وعزة وظيفته.

لكنه بدلاً من كل هذا، وبدون أي أثر ينم على أن كبرياءه قد جُرح، أمسك بيد الصبي وقاده إلى حضرة الله، عارفًا تمام المعرفة أن ختم الوظيفة المقدسة الذي نزع منه يوشك أن يُسلَّم ليد هذا الصبي.

لو كان عالي قد تمسَّك بشكليات الكهنوت فقط لكان قد وقف حائلاً بين الله وبين الصبي، واستمع إلى اعترافاته، واستخدم معه نفوذه المرعب، ووجهه كما شاء، كأنه نائب عن الله. لكنه بدلاً من هذا، قال بكل لطف «اذهب اضطجع ويكون إذا دعاك تقول تكلَّم يارب لأن عبدك سامع» (ع٩).

ليست مهمة خادم الله أن يزيد المنزعجين انزعاجًا واضطرابًا، بل أن يقول لكل منهم "اذهب اضطجع، اطمئن، اهدأ قدام الله. انتظر لأنه لا بد أن يوافيك ثانية، ويكون إذا دعاك تقول له تكلَّم يارب لأن عبدك سامع".

وكما قال توما الكمبيسي "لست أريد أن يكلمني موسى، أو أي واحد من الأنبياء، بل كلمني أنت أيها الرب الإله، مُلهم ومنير كل الأنبياء. لأنك أنت وحدك القادر أن تعلمني بدونهم تعليمًا كاملاً. أما هم، فبدونك لا يقدرون أن يفيدوني شيئًا. كلمني أنت لتعزية نفسي مهما كان يعتريها من النقص. كلمني لإصلاح حياتي كلها، ولمجدك وسبحك وكرامتك إلى الأبد"

٤- أما الرسالة التي حملها الصبي فقد كانت مزعجة جدًا. نحن لا نعجب إن كان قد «خاف أن يخبر عالي بالرؤيا» (ع ١٥). لقد بدأ يتمم واجباته اليومية بأدب جم، وصمت تام، وفتح كالمعتاد أبواب بيت الرب. لم يكن يليق به أن يتعجل ويفضي الرسالة المزعجة جدًا التي حملها. كانت هذه ناحية جميلة أخرى في صفات الصبي.

كان قد أخطأ في فهم صفات عالي. لم يكن يدرك أن مثله يفضل أن يموت عن أن يتذمر. يسلم نفسه لله في خضوع تام دون كلمة احتجاج أو دفاع. وإذا ما عرف أسوأ الظروف أجابه بوداعة «هو الرب ما يحسن في عينيه يعمل» (ع ١٨).

٥- جميل أن نلاحظ «أن الرب استعلت لصموئيل في شيلوه بكلمة الرب» (ع ٢١). ينبغي أن لا نطلب أن يستعلن لنا الرب بأحلام أو الرؤى، بل بكلمة الله. ليس شيئًا أكثر ضررًا من أن نتعود الإصغاء إلى أصوات، أو نطمع في الأحلام. كل أنواع الأوهام والتخيلات تأتي من هذا الباب. وأفضل شيء هو أن نقرأ الكتاب المقدس بكل وقار وتأمل، قائلين «تكلم يا رب لأن عبدك سامع».

واستجابة لهذا تأتي رسالة واضحة، محدَّدة، متكررة، يؤكدها ويدعمها كل فقرة في الكتاب المقدس وقائلة: "هذا هو الطريق، اسلك فيه .. هذه هي مشيئتي، تممها .. هذه هي كلمتي، رددها". فلنسمع إلى ما يقوله الرب الإله.